العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة التاسعة عشرة العدد 197
جمادى الآخرة 1447هـ - 2025م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية



بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر



حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التاريخية
لشهر جمادى الآخرة

- الثالث منه شهادة السيدة الزهراء عليها السلام سنة ١١هـ
- الثالث عشر منه وفاة أم البنين سلام الله عليها سنة ٦٤هـ .
- التاسع عشر منه زواج عبد الله وآمنة سلام الله عليهما والدي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.
- العشرون منه ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ٨ قبل الهجرة.
- الحادي والعشرون منه رجوع أمير المؤمنين من حرب الجمل سنة ٣٦هـ.



المشرف العام	السيد عيسى الخرسان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباججي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسين الصراف رياض مجيد الخزرجي
التصحيح اللغوي	د. ستار عبد الله العيداني
السلامة الفكرية	فاروق أبو العبرة
تصميم الغلاف وتوليد الصور	حسين علاء التميمي
التصميم والاخراج	صباح حسن الدجيلي
الاعمدة والبوسترات	ضياء نسيم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م

رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)

alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150



الحجاب الإسلامي معنًى ودلالة

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

إنَّ من المسلَّماتِ الشرعيةِ التي انعقد عليها إجماعُ فقهاءِ الأمة، واستقرَّ عليها البناءُ الأخلاقيُّ في مدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام، أنَّ السترَ والعفاف، ليسا من شؤونِ العادةِ، ولا من مقتضياتِ الذوقِ الاجتماعيِّ، بل من أحكامِ الشريعةِ، ومظاهرِ الامتثالِ، وعناوينِ الهويةِ الإيمانية.

وفي هذا السياقِ، فإنَّ الحديثَ في مسألةِ السترِ والحجاب، لا ينبغي أن يُختزَلَ في بعدٍ شكليٍّ أو انفعاليّ، بل يُدرَسُ ضمن منظومةٍ فقهيةٍ متكاملة، تنطلق من النصّ، وتُراعي المقصدَ، وتلحظ الواقع.

لقد قررَ القرآنُ الكريمُ أصلَ الستر بوصفهِ وسيلةً لصيانةِ الكرامةِ ودفعِ الأذى، فقال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾، وهو تعليلٌ قرآنيٌّ واضحٌ، يربط الحكمَ الشرعيَّ بوظيفتِه الاجتماعيةِ والأخلاقية، لا بمجردّ المظهر.

كما أنَّ الرواياتِ الواردةَ عن أهلِ البيت عليهم السلام تؤكد هذا المعنى، فقد ورد عن أميرِ المؤمنين عليه السلام قوله: «العِفَّةُ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ». وفي روايةٍ أخرى: «مَا زُيِّنَتِ الْمَرْأَةُ بِزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعِفَّةِ».

ومن المقرَّرِ أصولياً، أنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، فإذا كان السترُ الواجبُ لا يتحقَّق عرفاً، إلا بلباسٍ ساترٍ كاملٍ يمنع الإبداءَ والزينةَ الملفتةَ، فإن الالتزامَ بمثل هذا اللباس يندرج في دائرةِ الامتثالِ التعبديِّ والعرفيِّ.

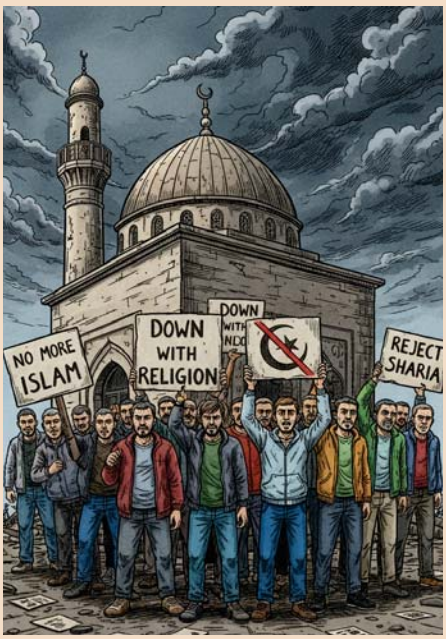
وفي زمنٍ تتكاثر فيه محاولاتُ تفريغِ المفاهيم من مضامينها، وإعادةُ تعريفِ القيمِ بمعزلٍ عن مرجعيتها الدينيةِ، يصبح من الواجبِ التأكيد، على أنَّ العفافَ ليس تراجعًا، وأنَّ الستر ليس انغلاقًا، بل التزامٌ نابعٌ من فهمٍ فقهيٍّ وأخلاقيٍّ متكاملٍ للإنسانِ والمجتمع.

ومن هنا، فإنَّ أيَّ محاولةٍ لفصلِ الستر عن منظومتهِ القيميةِ، أو تقديمهِ بوصفهِ خيارًا ثقافيًا محضًا، هي قراءةٌ مبتورةٌ، لا تنسجم مع المباني القرآنية والفقهية، وإننا حين نتحدَّث عن العباءة، إنما نتحدَّث عن مصداقٍ فعليٍّ لهذا المعنى الشرعيِّ، لا عن عنوانٍ زائدٍ عليه؛ إذ أنها الطريقُ إلى الغايةِ، ولا غايةَ من غيرِ طريق.

وختامًا، نقول لبناتنا ما قاله إمامنا سيد الشهداء، الحسينِ بن عليٍّ عليه السلام، لأهل بيتهِ وهو يودعهم وداعه الأخير: "واعلموا أنَّ اللهَ حاميكنَّ وحافظكنَّ، وسينجيكنَّ من شرِّ الأعداء".

وهذا هو مناط الحجاب ودلالته، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآلهِ الطاهرين.

٨ قـــــــــاف
١٦ الكلـــم الطيـــب
٢٤ حتى يتفقهوا
٣٠ مع الحـــق
٣٦ بلسانٍ علويٍّ مُبين
٤٨ الصِّراطُ المُستقيم
٦٠ لسان الأمة
٦٨ قُرَّة الأَعين



٨٢
حوار العدد

٨٨
الشرق والغرب

٩٨
ذاكرة الأمم

١١٢
تراث الخزانة العلوية





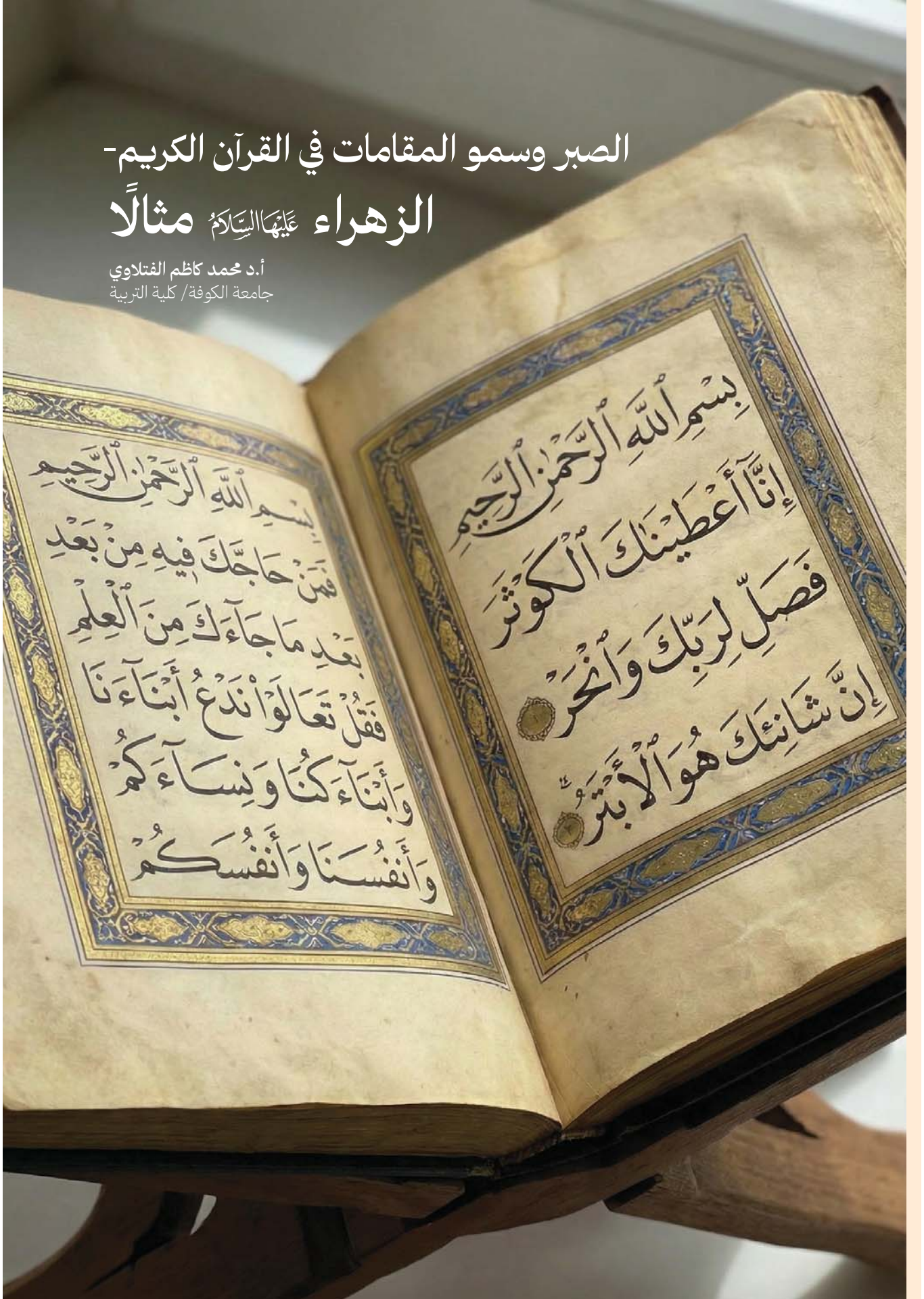
قـــــاف

■ الصبر وسمو المقامات في القرآن الكريم- الزهراء عليها السلام مثالًا

أ.د محمد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة/ كلية التربية

الصبر وسمو المقامات في القرآن الكريم- الزهراء عليها السلام مثالًا

أ.د محمد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة/ كلية التربية



يقوم الكلام على حقيقة قرآنية مفادها تراتبية الاصطفاء الإلهي ودرجة الابتلاء والاختبار، التي يُتحف الله سبحانه بها بعض عباده المُخلَصين، لرفع درجاتهم وتكامل ذواتهم بصبرهم وتسليمهم لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلنَا مِنهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[السجدة: ٢٤]، فجعل الله سبحانه للأئمة مترتب على أمرين، "فبيّن أن الملاك في ذلك صبرهم في جنب الله، وقد أطلق الصبر، فهو في كل ما يبتلى ويُمتحن به عبد في عبوديته، وكونهم قبل ذلك موقنين"[١].

وقد ذكرت الآية هنا صفتين من صفات الائمة أحداهما الايمان بآيات الله عز وجل والثانية الصبر والاستقامة والصمود، وهو درس لكل الأمم، ولجميع مسلمي الأمس واليوم والغد، بأن يحكّموا أسس يقينهم، ولا يخافوا من المشكلات التي تعترضهم في طريق التوحيد، وأن يتحلوا بالصبر والمقاومة ليكونوا أئمة الخلق وقادة الأمم ومرشديها في تاريخ العالم، ولهذا الصبر والثبات فروع وأشكال كثيرة: فيكون أحيانًا إزاء المصائب التي تحل بالإنسان، وأخرى مقابل الأذى الذي يحيق بأصحابه ومؤيديه، وثالثة في مقابل التعديات والألسن البذيئة التي تنال مقدساته، وأخرى في مواجهة المنحرفين فكريًا، وأخرى إزاء الجاهلين الحمقى، وأخرى إزاء العلماء غير العاملين[٢].

وهذه الثنائية التي يعقدها القرآن الكريم بين (الصبر على الظلامات، ورفع المقامات) تتجلى أعظم ما يكون في شخصية السيدة الزهراء عليها السلام؛ إذ كانت مصداقًا أكمل لها منذ إطلالتها النورانية على ميدان الحياة، حتى انتقالها إلى بارئها مظلومةً شهيدةً.

وإنّ سيرورة الذات الفاطمية في ظلال ابتلاءات الحياة وظلاماتها اتجهت في مسارَيْن[٣]:

الأول: تكامُل ذاتها المباركة للنهوض بعبء الأدوار الرسالية التي أنيطت بها عليها السلام.

الثاني: رفع مقاماتها وإعلاء درجاتها حتى مرتبة ((سيدة لنساء العالمين))[٤].

وإنّ رصدًا سرديًا لمحطات الصبر وسمو المقامات الفاطمية يوقفنا على مواكبتها عليها السلام إياه منذ خروجها إلى مقام التجلي، ويمكن أن نتتبعها بإيجاز على وفق الآتي[٥]:

- أشرقت سلام الله عليها على غياهب الحياة في العهد المكي، حيث ضاقت الأرض على النبي صلى الله عليه وآله، ولاقى أشد ما يكون من ألوان العذاب والبطش والتكذيب والتنكيل حتى قال: ((ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت))[٦]، وصبرتْ على ما شاهدتْه من أذى أبيها وما

تجرّعه من القوم.

– الاضطهاد النفسي إبّان حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله من قِبَل بعض أزواجه بالإساءة إلى والدتها خديجة رضي الله عنها وإضمار الحسد والضغينة لها عليها السلام، وصبرت على ذلك مع أن أمها الكبرى رضي الله عنها ليست على قيد الحياة.

– إيذاؤها عليها السلام بتعييرها ببعلها سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام بفقره وفاقته وضيق ذات يده، بعد أن لم يجدوا فيه ما يعيب، وصبرت على تلكم الكلمات بحق زوجها.

– ابتلاؤها عليها السلام بالفقر الشديد والجوع والعطش وعُسر الحال وصعوبة المعيشة، وصبرها في ذلك.

– الابتلاء بتحمّل غياب الوالد والزوج لانشغالها بأعباء الرسالة وحفظ الدعوة وكسر شوكة الشرك والنفاق، وصبرها في ذلك ومواساتها وحملها على التصبّر.

– تآمُر المنافقين على أبيها وبعلها عليهما السلام.

– صبرها على إخبارها بظُلامة ابنَيْها الحسنَيْن عليهما السلام سيدَي شباب أهل الجنة ومقتلهما في أثناء ولادتهما وبُعَيْدَها.

– مَشاقّ أعباء البيت والنهوض بأعماله حتى مجُلت يداها من الطحن بالرحى، وتقشّر وجهها من الخبز بالتنور، وعزاء نفسها بالصبر.

– الأذى الجسدي البالغ لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب والمعارك حتى كان يأتيها مُثخنًا بالجراح ومثقلًا بالآلام والمتاعب.

– تمرّد بعض أصحاب أبيها صلى الله عليه وآله على أوامره وتبليغاته بتنصيب بعلها أمير المؤمنين عليه السلام خليفةً من بعده وإمامًا للناس.

– تآمُر بعض زوجات أبيها صلى الله عليه وآله على أبيها وعليها وعلى بعلها.

– مصابها بمرض أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله قُبيل وفاته.

– مصابها الأعظم وبلاؤها الأكبر بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله.

– مصابها بانقلاب صحابة أبيها صلى الله عليه وآله وتجاهلهم لدفنه وتجهيزه وانشغالهم بتقاسم مناصب الخلافة في مؤامرة السقيفة.

– ظلامتها بغصب خلافة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام وإنكار حقه وجحد بيعته.

– ظلامتها بغصب نحلتها النبوية (فدك) قسرًا.

– ظلامتها بتجاوز حرمتها وتهديدها وبعلَها بأقصى إجراء عنفي وتعسفي ممكن وهو الإحراق، ومداهمة دارها وجمع الحطب

الحوراء الإنسية، أمّ أبيها، الراضية المرضية، المحدَّثة أي: كانت تحدثها الملائكة كما كانت تحدّث مريم عليها السلام، والمحدِّثة فكانت تحدِّث أمها وهي جنين..

حوله وإشعال النار فيه.

- ظلامتها باقتحام حرمة بيتها المقدّس من دون استئذان ولا استئناس، على حين كان أشرف الكائنات صلى الله عليه وآله لا يدخله حتى يستأذن.

- ظلامتها بإسقاط جنينها وقتل طفلها في أبشع ما يمكن من جريمة ضد الإنسانية.

- ظلامتها بالإيذاء الجسدي بكسر ضلعها عليها السلام.

فهذه السيرة المتتابعة من الظلامات والابتلاءات والمِحَن، وما خفي علينا من مصائبها أعظم، إلى الحد الذي قالت فيه[٧]:

صُبّت عليّ مصائبٌ لو أنها

صُبّت على الأيام صرنَ لياليا

كلها قد توافرت وتعاضدت، ومن قبلها إرادة السماء؛ لتكامل شخصيتها ورفع مراتبها ودرجاتها، وإعدادها للنهوض بأعباء الرسالة مع أبيها صلى الله عليه وآله وبعلها عليه السلام.

إنّ آثارًا عظيمة ومعطيات جسيمة كبرى قد ترتبت على اصطفائها عليها السلام بهذه الابتلاءات، تجلت كأبين ما يكون في المقامات التي أطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله عليها، ومن أبرزها[٨]:

الحوراء الإنسية، أمّ أبيها، الراضية المرضية، المحدَّثة أي: كانت تحدثها الملائكة كما كانت تحدّث مريم عليها السلام، والمحدِّثة فكانت تحدِّث أمها وهي جنين، روحيَ التي بين جنبَي، بضعةٌ مني، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، سيدة النساء أجمعين من الأولين والآخرين، البتول، الزهراء...

ولعل أعظم مقام بينه النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام قوله: ((إن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها))[٩]، إذ جعل رضا الله سبحانه مشروطًا برضاها، ورضاها علامةً لرضا الله عز وجل ويستتبعه على نحو العلة والمعلول والسبب والنتيجة.

إنّ هذه الشبكة الإلهية من الصبر والتصبر والمقامات الرفيعة والدرجات تكاملت في الذات الفاطمية، فجعلت منها حُجةً على الخلق، بل حجة على بنيها من سادة الخلق، كما ورد عنهم عليهم السلام: ((نحن حجج الله على الخلائق، وأمّنا فاطمة حجة الله علينا))[١٠].

لعل أعظم مقام بينه النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام قوله: ((إن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها))، إذ جعل رضا الله سبحانه مشروطًا برضاها، ورضاها علامةً لرضا الله عز وجل..

والخلاصة.. إن السيدة الزهراء عليها السلام تمثلت فيها الثنائية التي ذكرتها الآية المتقدمة من تحقق الإيمان واليقين بآيات الله عز وجل، **والثاني:** الصبر والاستقامة والصمود، وهذا الأمر بطبيعة الحال ليس حكرًا بمن نزلت فيهم الآية الكريمة، وكذلك ليس مختصًا بسيدة نساء العالمين عليها السلام إنما هي من باب المصداق الأكبر لها، وعليه فالطريق مفتوح لكل بني البشر في نيل المقامات السامية ما إن تتحقق فيهم المقومات المشروطة، والزهراء عليها السلام هنا حجة الله على البشر في تطبيق آيات الكتاب العزيز وامتثال أوامره لنيل ما وعدنا به، والحمد لله رب العالمين.

١. الطباطبائي، الميزان: ١/ ٢٧٣.
٢. ظ: الشيرازي، الأمثل: ١٣/ ١٣٨-١٤١.
٣. ظ: محمد بيومي، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ١١٠.
٤. ظ: الكليني، الكافي: ١/ ٤٥٩، ظ: أحمد بن حنبل، مسند احمد: ٦/ ٢٨٢.
٥. للتوسعة ينظر: عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت: ٧٣، وعلي الميلاني، مظلومية الزهراء عليها السلام: ١٢.
٦. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٩/ ٥٦.
٧. المصدر نفسه: ٧٩/ ١٠٦.
٨. للتوسعة في مدلول هذه الأسماء المباركة ينظر: علي النمازي الشاهرودي (ت١٤٠هـ)، مستدرك سفينة البحار: ٥/ ١٧٣، والتبريزي الأنصاري (ت١٣١٠هـ)، اللمعة البيضاء: ٩٥، والسيد المرعشي(ت١٤١١هـ)، شرح إحقاق الحق: ٣٣/ ٢٥٥، ومحمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية: ٣٧٧، وغيرها.
٩. المجلسي، بحار الأنوار: ٢١/ ٢٧٩.
١٠. للتوسعة في دلالة هذا الحديث الشريف ظ: محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية: ١٧.

مقامات سيدة نساء العالمين عليها السلام القرآنية

دلّت الآيات القرآنية على مقامات السيدة الزهراء عليها السلام، فمنها ما كانت عامة لأهل البيت عليهم السلام، وتدخل فيها السيدة الزهراء ضمنًا، نحو الآيات التي تؤكد عصمة أهل البيت عليهم السلام، وتُبين مقام علمهم، وفضيلة شفاعتهم، وضرورة مودتهم وطاعتهم وغيرها، ومنها ما هي خاصة بها سلام الله عليها، نحو آية المباهلة التي تُظهر السيدة الزهراء عليها السلام بوصفها جزءاً من منظومة حادثة المباهلة وركيزة أساسية فيها، قال تعالى: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم**﴾ [آل عمران: ٦١]،

وقد أجمع الفريقان على نزولها فيهم دون غيرهم ، فمن ذلك ما رواه الحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل، والطبراني في دلائل النبوة، والعلامة الطحاوي في العقيدة الطحاوية، والسيوطي في الدر المنثور، والطبري في ذخائر العقبى، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة وغيرها.

فضلاً عن بعض السور النازلة أو المؤولة في السيدة الزهراء عليها السلام نحو سورة الكوثر وسورة القدر.



الكلم الطيّب

بين الحينية والامتـــداد أثر الزمـان والمكان في تحديد خصوصية النـص الحديثي أو عموميتـه

الباحثة: مروة حيدر
النجف الأشرف

بين الحينية والامتداد
أثر الزمـان والمكان في تحديـد خصوصيـة النـص الحديثي أو عموميتـه

الباحثة: مروة حيدر
النجف الأشرف

عنـد قـراءة النـص الديني، قرآنًـا كان أم حديثًـا، ينبغي الانتبـاه إلى طبيعة خطابه: هـل هو خطاب تاريخـيٌّ يعالـج واقعـة مخصوصـة في زمـان ومـكان محدَّديـن؟ أم هـو خطاب ممتـدٌّ يتجـاوز حدود المرحلـة ليخاطب الإنسـان في كل زمـان ومكان؟

إن الفهم الصحيح للنـــص يتوقف على إدراك أرضيتـــه التاريخية، وســـياقه الواقعي الذي صدر فيه، ومـــا يترتب على ذلـــك من أثـــر في دائرته الدلالية، من هنا تنشـــأ الإشـــكالية الرئيسة: ما أثر الزمـــان والمكان في معرفـــة خصوصية النص الحديـثي أو عموميتـه؟

أولًا: تصنيـــف النصوص الدينية بـــين التاريخية والممتدة[1].

يمكـــن تصنيف النصـــوص الدينية إلى نوعين رئيسين :

الأول النص التاريخي:

هـــو الذي صـــدر لمعالجـــة واقعـــة خاصة أو مشـــكلة عينية، تحكمهـــا ظروفهـــا الزمانية والمكانية، فـــلا يمتـــد حكمهـــا إلى غيرها من الحالات. فهـــو نصٌّ واقعـــيٌّ لا تشريعيٌّ، مرتبط بظرفـــه الموضوعي.

الثاني: النص التشريعي العام:

هو النـــص الذي يتجـــاوز حـــدود المرحلة التاريخيـــة، ويقـــدّم حكـــمًا ثابتًا ودائـــمًا ما بقي الإنســـان، منـــه قولـــه ﷺ: ((حـــلال محمد

حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة))[٢].

فهذه النصوص تمثل تشريعات عامة، بخلاف ما ورد لمعالجة قضايا جزئية أو مؤقتة.

ثانيًا: تطبيقات على النصوص التاريخية

تظهر الطبيعة التاريخية لبعض النصوص الحديثية في روايات متعدّدة، منها:

الروايات الطبية:

منها الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، التي تأمر بتناول أعشاب معينة، أو تنهى عن أدوية محددة؛ إذ ترتبط ببيئة الطبّ وعلومه في ذلك العصر، ولا يُقصد بها تأسيس قاعدة طبية مطلقة[٣].

الروايات العمرانية:

منها قول الإمام الصادق عليه السلام: ((والطريق يتشاحّ عليه أهله فحدّه سبع أذرع))[٤]، وفي رواية أخرى: خمس أذرع.

فهذه التحديدات جاءت لعصر كانت فيه وسائل النقل حيوانية، أما اليوم فتتغير بحسب حاجات العمران الحديث واتساع الطرق.

ثالثًا: النصوص ذات الامتداد الزماني والمكاني

بالمقابل، هناك نصوص لا تخضع لظروف تاريخية خاصة، بل تتميز بقدرتها على الامتداد والتجدّد. كما سئل الإمام الصادق عليه السلام (ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة "طراوة" ؟ فقال: ((لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة))[٥].

إن هذا الحديث يفتح للباحث آفاقًا فكرية متجدّدة، تمنعه من الوقوف عند حدود الفهم السلفي الجامد؛ لأنّ الفهم الديني بطبيعته نسبي ومتطور، وكم ترك السابقون مساحةً رحبةً لمن يأتي بعدهم في الاجتهاد والتفسير[٦].

أما الكلام عن المستوى الآخر في دور الزمان والمكان في إيجاد تطبيقات جديدة للنص فيما لاريب فيه، وقد بيّن ذلك الإمام الصادق صلى الله عليه وآله فيما روي عنه: (ولو كان إذا نزلت "أي الآية" في رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، لمات الكتاب ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى)[٧].

وهذا يدلُّ على أنّ النصوص التشريعية الكبرى تعبّر عن مبادئ كلية تتجدّد مصاديقها مع تطور الحياة.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[الانفال: ٦٠]

فالقـــوّة مفهومٌ متطـــوّر، كانت يومًـــا تتمثّل في رِبـــاطِ الخيـــل وما تحويـــه آلةُ الحـــرب زمنَ النـــزول، أمّا اليوم فقد اتّســـع معناها ليشـــمل القوّةَ بمفهومها الأشـــمل: قوةَ الحوار السياسي، والتأثير الثقـــافي، والتقدّم الحضـــاري، بل حتى التفـــوّق الاقتصادي.

رابعًا: التحوّل اللغوي والمفهومي

اللغة كائـــن حيّ، تتطـــور مفرداتها ودلالاتها بتغـــير العصـــور والمجتمعات، وقد يكتســـب النـــص الحديثـــي تاريخيته مـــن المفاهيـــم التي كانت ســـائدة في زمنـــه، بحيث لو نُطـــق اليوم باللفظ نفســـه لاختلـــف مدلوله[٩].

فمثـــلًا، كان لفظ الصدقة يُســـتعمل في صدر الإســـلام للدلالة على الوقـــف، في حين أصبح اليوم مصطلـــح الوقف يُفهم بمعنى مؤسســـاتي خاص، مما يســـتدعي دقـــة في فهـــم المصطلح ضمن ســـياقه التاريخي[١٠].

خامسًـــا: أثر الزمـــان والمـــكان في التطبيقات الواقعية للنـــص

يتجـــلى أثر الزمـــان والمـــكان في كيفية تنزيل النصوص عـــلى الواقع:

في حديـــث النبـــي محمـــد ﷺ: ((إذا تزوج أحدكـــم أو اشـــترى خادمًا فليقـــل: "اللهم إنّي أســـألك خيرها وخير ما جبلتها عليـــه، وأعوذ بك من شرّها ومـــن شر ما جبلتهـــا عليه، وإذا اشـــترى بعيرًا فليأخذ بذروة ســـنامه وليقل مثل ذلك))[١١].

فالنـــصّ ناظـــر إلى واقـــع عـــصره (الخدم والإبـــل)، لكن الدعـــاء مضمونه يمتـــد إلى ما يماثله اليوم كالـــزواج وشراء الســـيارة ونحوها من الأدوات الحديثـــة.

وفي حديـــث زكاة الفطر: ((فرض رســـول الله ﷺ زكاة الفطـــر صاعًـــا من تمـــر أو صاعًا من شـــعير على العبـــد والحر والذكـــر والأنثى والصغـــير والكبير من المســـلمين))[١٢].

فذكر التمر والشـــعير يمثّـــل طبيعة القوت في المدينـــة، والمقصود إخراجها مـــن القوت الغالب في كل بيئـــة، يقول أبو ســـعيد الخـــدري ((كان طعامنا الشـــعير والزبيب والتمر))[١٣].

أما مســـألة ســـكوت المـــرأة عنـــد الزواج، فقـــد كان في الماضي يُعـــد تعبيرًا عـــن رضاها في بيئـــة يغلب عليهـــا الحياء والعزلـــة، غير أن هـــذا المعنى لم يَعُد قائـــمًا اليوم؛ إذ تغيّر الســـياق الاجتماعـــي والنفسي للمرأة، وأصبح الســـكوت لا يُعَدّ بالـــضرورة علامة عـــلى القبول[١٤].

وكذلك الأمر في مســـألة الخِضـــاب وتغيير الشَّـــيب؛ إذ كان لذلـــك حكمٌ مرتبـــط بظرفٍ خاص، كما تكشـــفه نصـــوصٌ أخـــرى، وهو رغبة المقاتلين المســـلمين في ألا يظهـــروا بمظهر الشـــيوخ الضعفـــاء، حتـــى لا يؤثـــر ذلك في معنوياتهـــم في ســـوح القتال ،ومن ثَـــمّ فإن هذا

الحكم ليس عامًا كما يتصوّر بعض الدارسين، بل هو خاصٌّ بتلك الحال ومرتبط بزمانها وظرفها[١٥].

سادسًا: أثر البيئة في الاجتهاد الفقهي

حتى الفقيه ذاته يتأثر ببيئته الثقافية والطبيعية؛ فالمقيم في بيئة وفيرة المياه مثل (إيران) قد يتشدد في أحكام الطهارة، بينما من يعيش في بيئة قليلة الماء مثل (مكة قديمًا) يقرأ الروايات نفسها بروح مختلفة، مراعيًا مقتضيات الواقع[١٦].

ومثال آخر: الروايات التي تحث على تناول الملح قبل الطعام جاءت مراعيةً لمناخ حارٍّ كانت فيه الحاجة إلى الأملاح شديدةً، بينما في البيئات الباردة قد يكون ذلك ضارًّا.

إذن، ففهم النص لا ينفصل عن فهم بيئة السائل والمخاطَب[١٧].

إنّ مراعاة أثر الزمان والمكان في فهم النصّ الحديثي لا تُنقص من قداسته ولا من حجيّته، بل تُسهم في إدراك مقاصده على وجهها الصحيح. فتمييز ما هو تشريعيٌّ عام عمّا هو ظرفيٌّ خاص يُحقق التوازن بين ثبات النصّ وقدسيته من جهة وحركة الواقع وتغيّره من جهة أخرى، لتبقى القراءة الدينية حيّةً، مرنةً، قادرةً على استيعاب الإنسان المعاصر وتجدّد حياته.

(١) ظ: الخشن، الشريعة تواكب الحياة: ١٢٤.
(٢) ظ: المصدر نفسه:١٢٤.
(٣) ظ :الصدوق، الاعتقادات:٩٠.
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة : ٤/ ١٤٣.
(٥) المجلسي، بحار الانوار :١٥/ ٨٩.
(٦)الخشن، الشريعة تواكب الحياة: ١٦٥.
(٧) المجلسي، بحار الأنوار:٤/ ٤٣.
(٨)محمد علي أيازي، مقاصد الاحكام الشرعية وغاياتها :٢/ ١١٧.
(٩) ظ : البحراني، الحدائق الناظرة: ٢٢/ ١٢٨.
(١٠) أبو داود، السنن : ٢/ ٣٨٤.
(١١) البخاري، الصحيح: ٢/ ٥٤٧.
(١٢) المصدر نفسه: ٢/ ٥٤٨/ .
(١٣) حيدر حب الله، نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي: ٧٤٢.
(١٤) مرتضى المطهري، المجموعة الكاملة : ٢٠/ ١٨١.
(١٥) المصدر نفسه: ٢١/ ١٦٤.
(١٦) محمد مهدي، شمس الدين:الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي: ٩١.



ما حديث الكساء ولماذا سمي بهذا الاسم؟

حديث الكساء حديث صحيح متواتر مشهور تناقلته المصادر الإسلامية المعتبرة لدى الفريقين ، من أبرزها كتب التفسير والحديث والتاريخ.

ولا يكاد أحد يشك في صدور هذا الحديث من الرسول ﷺ بحق أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

قال ابن تيميَّة الحرَّاني: وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه احمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة[1].

وهو الحديث الذي تحدَّث به النبي محمد ﷺ في فضل أهل بيته المعصومين عليهم السلام، وهم: علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن بن علي والحسين بن علي عليهم السلام.

وقد أدلى النبي ﷺ بهذا الحديث حينما جمع هؤلاء النخبة تحت الكساء، ولهذا السبب سُمي هذا الحديث بحديث الكساء.

أما نص الحديث من حيث اللفظ فقد رُوِيَ بصيغٍ متعددة لكن هذه الصيغ وإن اختلفت من حيث اللفظ إلا أنها تتحد من حيث المعنى والمضمون، فكلها تُشير إلى أنّ النبي ﷺ أراد تطبيق آية التطهير[2] على هؤلاء النخبة، كما أراد التأكيد على أنهم هم المقصودون من أهل البيت في الآية المباركة لا غيرهم.

وفيما يأتي نذكر بعض النماذج التي روتها المصادر المعتمدة لدى علماء السنة:

١. عن عائشة قالت: ((خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط [3] مرحّل[4] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]))[5].

٢. عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: ((لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله ؟

قال: "أنت على مكانك وأنت على خير"[6].

٣. عن أم سلمة قالت: ((في بيتي نزلت ﴿.. **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**... ﴾[7] فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: " هؤلاء أهل بيتي "[7].

٤. في صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت: ((خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾))[8].

---

١. منهاج السنة: ٣ / ٣.
٢. ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].
٣. المِرْط: كساء من صوف أو خزّ أو كتان يؤتزر به.
٤. مرحل: ضرب من برود اليمن.
٥. صحيح مسلم: ٦٨٦.
٦. صحيح الترمذي، تفسير القران): ٥ / ٣٥١
٧. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٤٦.
٨. صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣.



حتى يتفقهوا

■ منافع القرض وأحكامها بين الربا والوقف

م. د علي عبد العظيم هادي الخاقاني
وزارة التربية - مديرية تربية النجف الأشرف



منافع القرض وأحكامها بين الربا والوقف

م. د علي عبد العظيم هادي الخاقاني
وزارة التربية - مديرية تربية النجف الأشرف

القرض من المعاملات المتداولة بين الناس، بغية تمشية أحوالهم الى أجل مسمى، وتشتمل هذه المعاملة على تفرعات وجزئيات، من الضروري والمهم تعلمها من قبل المؤمنين؛ خشية الارتطام بما يَحرم التعامل به من تلك التفرعات، والقرض أيضاً من المعاملات التي لها جانبان: أحدهما نافع في الدنيا والآخرة، والجانب الآخر عكسه تماماً؛ فقد يكون القرض سبباً للشقاء والعسر في الدنيا، وسبباً لدخول النار في الآخرة.

ومنافع القرض تختلف عن القرض نفسه في بعض الأحكام الشرعية، سواء أكان في موضوع الوقف أم في موضوع الربا، وفيها بعض الاختلاف عند الفقهاء، فهل يصح وقف منافع المال المُعد للقرض؟ أم هل يُعد رأس المال المُقرَّض أساساً من الوقف؟ وهل يصح وقف هكذا موضوع؟ وهل يشمل حرمة الربا ما ينتج من منافع للمال المقترض؟ هذا ما سيتطرق إليه مقالنا ، وبالإيجاز غير المخل إن شاء الله تعالى؛ كون المقام مقام إيجاز، وللتفصيل مقام آخر، فنقول:

أولاً- تعريف القرض: أَصل القَرْضِ في اللغة القَطْعُ، والمِقْراضُ من هذا أُخِذ[1]، وفي الاصطلاح الفقهي هو تمليك مال لآخر بالضمان في الذمة بمثله إن كان مثلياً، وبقيمته إن كان قيمياً، ويقال للمملِّك: (المقرض) وللمملَّك: (المقترض أو المستقرض)[2].

ثانياً- شروط صحة القرض: تحرص الشريعة الإسلامية على حصانة الطرفين -المملِّك والمملَّك- وحفظ حقوقهما، لذا ينبغي توافر شروط عدة في صحة القرض، منها[3]:

١. العقد: فالقرض يعد عقداً، لذا يجب فيه ما يجب في العقود: من الإيجاب والقبول وبالصيغة، سواء باللغة العربية أو بغيرها، ولو وقع على سبيل المعاطاة من دون التلفظ بالصيغة صح أيضاً.

٢. يشترط في القرض أن يكون المال عيناً، فلا يصح أن يكون ديناً أو منفعة.

٣. يشترط أن يكون المال مما يصح تمليكه، فلا يصح إقراض الخمر أو الخنزير، أو نحوهما من المحرمات.

٤. يشترط في القرض القبض، فلا يملك المستقرض المال إلا بعد قبضه.

٥. يشترط عدم الزيادة على المقترض.

ثالثاً- ربا منافع القرض: منافع القرض يقصد بها هنا الانتفاع بالعين المرهونة عند المقرض.

ويماثله أيضاً: اشتراط الزيادة على المقترض، بأن يقرضه مالاً على أن يؤديه بأزيد مما اقترضه، سواء اشترطاه صريحاً أم أضمراه بحيث وقع القرض مبنياً عليه.

فالربا في منافع القرض هو اشتراط الانتفاع بمنافع العين المقبوضة كرهن، وهو بمثابة اشتراط الزيادة في القرض، وهذه المنافع محرمة

شرعاً، ولا فرق في حرمة اشتراط الزيادة بين أن تكون الزيادة عينية -كما إذا أقرضه عشرة دراهم على أن يؤدي اثني عشر- أو عملاً -كخياطة ثوب- أو منفعة -كالانتفاع بالعين المرهونة عنده- أو صفة -كأن يقرضه دراهم فضية مكسورة على أن يؤديها صحيحة[٤].

رابعاً- وقف منافع القرض: نقصد هنا وقف مبلغ من المال لينتفع به المؤمنون على نحو القرض، فيتم تخصيص مبلغ من المال وتسبيل منافعه للمؤمنين.

وإقراض المؤمنين من المستحبات المؤكدة، سيما لذوي الحاجة، لما فيه من قضاء حاجته وكشف كربته، وهو من الأمور التي يشجع عليها أهل البيت عليهم السلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أقرض مؤمنًا قرضا ينظر به ميسوره كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه))[٥]، وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً قال: ((من أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه وزن جبل أحد من جبال رضوى وطور سيناء حسنات، وإن رفق به في طلبه تُعدّي به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب، ومن شكا إليه أخوه المسلم فلم يقرضه، حرّم الله عز وجل عليه الجنة يوم يجزي المحسنين))[٦].

إن الإسلام أهدى للبشرية مؤسستين أساسيتين: مؤسسة الزكاة ومؤسسة الوقف، ويُعد الوقف من الصيغ التمويلية التي يمكن الاعتماد عليها في تمويل الاحتياطات الاجتماعية والاقتصادية كافة، فضلا عن أنها صيغة تمويلية تبرعيه لا تُلقي أيّة تكلفة على المتمول إلّا عبر المقترحات المقدمة باستخدام الوقف في التمويل[٧].

الوقف هو: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، وينقسم من حيث الموقوف عليه على أقسام[٨]:

١. ما يكون وقفاً على عين أو أعيان خاصة، سواء أكانت إنساناً أم غيره -ومنه وقف الدار على زيد أو وقف البستان على المسجد-.

٢. ما يكون وقفاً على عنوان عام قابل للانطباق على عين أو أعيان خاصة، سواء لم تكن له مصاديق طولية -كأوقاف الشيعة على الأئمة عليهم السلام في زمن الحضور، أو على المرجع الأعلى في زمن الغيبة-، أم كانت له مصاديق طولية وعرضية -ومنه الوقف على الفقراء، أو علماء البلد، أو الطلبة، أو الأيتام ونحو ذلك.

٣. ما يكون وقفاً على عنوان غير منطبق على الأعيان، ويعبر عنه بالجهة، سواء أكانت جهة خاصة أم عامة -ومنه وقف البستان ليصرف وارده على عزاء الحسين عليه السلام في الدار الفلانية، أو على إطعام ذرية فلان، أو معالجة المرضى، أو تعليم القرآن، أو تبليغ المذهب، أو تعبيد الطرق، أو على سبيل الخير عامة، أو نحو ذلك.

ويشترط في الوقف: البلوغ، والعقل، والاختيار، والقصد، وعدم الحجر عن

التصرف في الموقوف لسفه أو فَلَس.

وحكم وقف منافع القرض فيها كلام لدى الفقهاء، فهو يُعدّ وقف المالية، ووقف المالية: حبس المالية، وتسبيل منفعتها، أي: مالية النقود، وهذا الوقف، لم يكن مشاعاً في العصور المتقدمة، وإن كان موجودا فعلاً، حيث كان الباحثون يتحدثون عن أوقاف نقدية للإقراض، أو الاستثمار، والمضاربة بشكل بسيط[٩]، والمالية: هي القوة الشرائية الموجودة في النقود، وفي بعض الاشياء العينية.

قال بعض الفقهاء[١٠] بعدم صحة وقف الأموال النقدية كالدراهم والدنانير وغيرها؛ وذلك لعدم وجود نفع لها إلاّ بالتصرف فيها، وهو مناف للوقف المقتضي بقاء الأصل.

وهناك من قال بصحة وقف الأموال (كالدراهم والدنانير)؛ حيث يُفترض لها نفع مع بقائها؛ كالتزيين بها ودفع الذل ونحوها، فيتناولها حينئذ إطلاق أدلّة الوقف، فينتفع بها بواسطة إعارتها مع بقاء عينها.

ولا تنافي بين هذين القولين؛ لأنّ القول الأوّل افترض أنّ نفعها يكون بالتصرف بها وهو مناف لبقائها، بينما افترض القول الثاني وجود نفع لها من دون أن يتصرف بها، وهو لا ينافي البقاء للعين.

ولكن البحث المطروح هو شيء آخر غير ما تقدم، وهو جواز وقف الأموال لأجل القرض أو المضاربة، فتكون المالية هي الموقوفة مع تبدّل تجسيدها من عين إلى عين أُخرى، فهل يجوز مثل هذا الوقف مع أنّ فتاوى الفقهاء صرحت بأنّ الوقف إنّما يصح في الأعيان المملوكة التي ينتفع بها مع بقاء عينها ؟

وبعبارة أُخرى: أنّ مشكلة حرمة تبديل العين الموقوفة تجعلنا نفكر في بديل لوقف العين بحيث يمكننا أن نوقف المالية، ونجعل المتولي على وقف المالية قادراً على التبديل والبيع بما يراه صالحاً في أي وقت أراد، وهذا ما يجعل الوقف مواكباً للمناشط العصرية التي تقوم بها السوق المالية، فيدخل المال الموقوف في المعاملات بحسب ما يراه المتولي، أو يستفيد من مالية المال الموقوف المحتاجون لقضاء حاجاتهم من المال بشرط إرجاعها لتقرض ثانياً.

وهذا الأمر جيد إن قام عليه دليل يصحح هذا الموقف، فهل من دليل على ذلك؟

أقول[١١]: قد يقال:

أوّلا: إننا نتمسّك بإطلاق روايات الصدقة الجارية الوارد في روايات صحيحة متعددة؛ بمعنى أنّ الجريان ليس مصداقه الوحيد هو انحباس العين وتوقيفها عن البيع ـــ حيث كان هو المصداق الرائج في زمن صدور النصّ ـــ بل هناك مصداق آخر للصدقة الجارية وهو مالية الشيء، التي يمكن تجسيدها ضمن أعيان مختلفة متعاقبة، وحينئذ يكون قوام الجريان بالتحبيس ولكن المحبوس قد يكون عيناً وقد يكون مالية.

وهـذا البيان لوقف المالية لا يعارضه ما ورد من تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة (الثمرة)؛ إذ إنّ وقف المالية أيضاً تحبيس لها، وقرضها أو المضاربة بها مع كون النفع للمحتاجين هو نوع تسبيل للمنفعة المرتجاة من المالية.

ثانياً: إنّ صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج صرّحت بجواز شرط الواقف حق البيع والتبديل للموقوف عليه، وحينئذ يرجع واقع هذا الشرط إلى التصدق بالمالية القابلة للتجسيد في الأعيان المختلفة.

ويرد على الدليل الأوّل: أنّنا نحتمل أنّ الصدقة الجارية الواردة في الروايات منحصر مصداقها في مرتكز المتشرعة في الوقف، الذي لا يباع ولا يوهب ولا يبدّل، وهذا الارتكاز يكون صالحاً للقرينية الموجبة لانصراف إطلاق عنوان الصدقة الجارية إلى وقف العين.

ويرد على الدليل الثاني: أنّ في صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج[١٢] جواز بيع الوقف لوفاء الدين، وجواز بيع الوقف وتقسيم الثمن على آل بني المطلب وآل أبي طالب والهاشميين، وهذا معناه إبطال الوقف لا أنّ الوقف يكون للمالية التي تبقى ثابتة ويكون النفع منها بالقرض والمضاربة، فهي أجنبية عن محل كلامنا.

يبقى أنّنا نتمكن أن نصل إلى نتيجة وقف المال لأجل القرض أو المضاربة، مع صرف الربح في جماعة الفقراء من المسلمين بالوصية، التي تنفذ بعد الموت في خصوص الثلث إن لم يرضَ الورثة بالزائد عليه، فيوصي الإنسان بصرف مقدار معيّن من أمواله في إقراض المحتاجين أو المضاربة به، على أن يكون الربح للمحتاجين من أهل بلده مثلاً، فبهذه العملية نصل إلى نتيجة وقف المال على القرض أو المضاربة به، على أن يكون الربح لجماعة معيّنة، أمّا نفس الوقف بالنقود المالية فلم يتم عليه أي دليل.

---

١. ابن منظور: جمال بن مكرم، لسان العرب: ٧/ ٢١٧.
٢. السيستاني: علي الحسيني، منهاج الصالحين: ٢/ ٢٨١.
٣. المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٢.
٤. المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٤.
٥. العاملي: وسائل الشيعة: ١٨/ ٣٣٠.
٦. المصدر نفسه.
٧. عيد: عادل عبد الفضيل، التكافل الاجتماعي والاقتصادي في الاسلام: ١٨٦.
٨. السيستاني: علي الحسيني، منهاج الصالحين: ٢/ ٣٨٨.
٩. حيدر حب الله: مجلة أهل البيت: ٢٩/ ٢١٤.
١٠. الجواهري: حسن، بحوث في الفقه المعاصر: ٤/ ١٦٠.
١١. المصدر نفسه: ٤/ ١٦١.
١٢. العاملي: وسائل الشيعة: ١٣/ ٣١٢، ب ١٠ من أحكام الوقوف والصدقات.

مع الحـــق

فاطمةُ الزهـــراءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ
حُجَّةُ اللهِ على الخَلْق، وحُجَّةُ
اللهِ على الحُجَج

د. أصغر باقرزاده
كلية الدين والإعلام/ إيران

فاطمةُ الزهراءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ
حُجَّةُ اللهِ على الخَلْق، وحُجَّةُ اللهِ على الحُجَج

د. أصغر باقرزاده
كلية الدين والإعلام/ إيران

أولًا: فاطمةُ الزهراءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ حُجَّةُ اللهِ على الخَلْق

إنّ السيدةَ فاطمةَ الزهراءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حُجَّةُ الله على الخلائق، وذلك لأنّ في مقام الحُجِّيّة لا يُشترط أن يكون الإنسان نبيًّا أو رسولًا أو إمامًا، بل إنّ العصمةَ هي محور الحُجِّيّة وأساسُها، فكلُّ من ثبتت له العصمةُ المطلقة، كان حُجَّةً لله على عباده، قد خلق اللهُ تعالى من بين جميع الخلائق أربعةَ عشرَ معصومًا[1]، ولا شكّ في أنّ فاطمةَ الزهراءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ من أعظمهم شأنًا، بل تُعدّ الشخصيةَ الثالثةَ في الوجود بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ثبت في الروايات تفوّقُ مقامها على سائر الأنبياء السابقين والأئمة، ما عدا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقول الإمامُ الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيان عظمتها وجلالتها: ((لقد كانت عَلَيْهَا السَّلَامُ مفروضةَ الطاعةِ على جميعِ من خلقَ اللهُ من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة))[2].

والإمامُ فخرُ الرازي، الذي يُلقَّب بـ(إمام المشكّكين)، إذ يُثير التساؤلات من المبدأ إلى المعاد، لم يُبدِ أيَّ شكٍّ في عصمة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بنت رسول الله عَلَيْهَا السَّلَامُ، بل أقرَّ بها صراحةً[3].

لأنّ من طرائق إدراك الحقائق، التعرّف إلى النظائر والأمثال، فإنّ استجلاء حقيقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، واستكشاف نفاستها الربّانية، لا يتمّ إلاّ عن طريق التأمّل في اللوحة الناطقة والآية الكبرى المتمثّلة في وجود أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي هو خير دليل وأوضح شاهد؛ لذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((لولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها، لما كان لها كفؤٌ على وجه الأرض إلى يوم القيامة، من آدم فمن دونه))[4] وقال أيضًا عن الله تبارك وتعالى: ((لو لم أخلق عليّاً، لما كان لفاطمة بنتك كفؤٌ على وجه الأرض))[5].

فإذا ثبت أنّ الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كفءٌ لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثبت أنّها نظيره في جميع الصفات الإلهيّة التي انماز بها، من العصمة والعدل وسائر

الكمالات، فهي شريكة النور، ومجلى الطهر، ومظهر الحقّ في صورة أنثى، كما كان هو مظهره في صورة ذكر.

وإذا ثبتت العصمةُ لإنسانٍ ما، فنحن نوقن يقينًا تامًّا بأنّ كلامَه، فعلَه، تقريرَه، سكوتَه، قيامَه، وقعودَه كلُّها تمثّل حُجَّةَ الله على الخلق، وعلى هذا الأساس، فإنّنا في زيارة آل ياسين نُسلّم على كلّ حالةٍ من حالات الإمام المهديّ أرواحُنا له الفداء؛ لأنّ كلّ شأنٍ من شؤونه معصومٌ، وكلّ حركةٍ منه مُحكمةٌ بالهداية الإلهية فنقول: ((السلامُ عليك حين تقوم، السلامُ عليك حين تقعد، السلامُ عليك حين تقرأ وتُبيِّن، السلامُ عليك حين تركع وتسجد))[٦].

وهذا التوقير الشامل لحالاته إنّما هو لأنّ العصمةَ تقتضي أن تكون الحياةُ والمماتُ كلها لله، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فالمعصومُ لا يتحرّك ولا يسكن إلا لله، ولا يتكلّم ولا يسكت إلا بأمر الله، ولا يقوم ولا يقعد إلا في طاعة الله. ومن هنا يتّضح أنّ معيار الحُجِّيّة هو العصمة، لا النبوّة، ولا الرسالة، ولا الإمامة. فإذا ثبتت العصمةُ لشخصٍ ما، فقد ثبتت له الحُجِّيّة الإلهية.

وبما أنّ هذه السيدة الجليلة، فاطمة الزهراء عليها السلام، معصومةٌ بنصّ الروايات، فهي حُجَّةُ الله على الخلق، بل على الحجج أنفسهم.

ومن الأدلّة الأخرى على كون السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حُجَّةً لله، أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد استشهد بكلامها، واستند إلى قولها في مقام التعليم والتوجيه، وهذا أمرٌ بالغُ الأهمية، إذ لا يستشهد وليُّ الله بكلام أحدٍ في مقام الهداية والتعليم إلا إذا كان ذلك الشخص حُجَّةً لله، لأنّ كلام غير الحُجّة لا يُعدّ مرجعًا شرعيًّا في مقام الهداية، وقد ورد ذلك في حديثٍ شريفٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام، حين أوصى الناس بحُسن القول عند تجهيز الموتى، فقال: ((فإنّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ عليها السلام، لما قُبض أبوها، ساعدتها جميعُ بنات بني هاشم، فقالت: دعوا التعداد، وعليكم بالدعاء))[٧]. أي أنّ السيدة الزهراء عليها السلام، بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله، خاطبت نساء بني هاشم اللاتي كنّ يُشاركنها في الحزن، وقد تركن الزينة ولبسن لباس السواد، وكنّ يُردّدن المراثي، فقالت لهنّ: ((اتركن هذا الأسلوب، وعليكنّ بالدعاء والمناجاة))، فهذا يدلّ بوضوح على أنّ كلام فاطمة الزهراء عليها السلام حجّةٌ شرعيّةٌ، وأنّها في مقام الهداية والتشريع، تُعدّ مرجعًا إلهيًّا، لا يقلّ عن الأنبياء والأئمة.

ثانيًا: إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حُجَّةُ الله على الحجج

فهي عليها السلام حجة على الأنبياء والأوصياء؛ وذلك لعدّة وجوهٍ بيّنة، منها:

١- النصوص الروائية الصريحة، إذ ورد في

بعض الروايات المعتبرة أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام حُجَّةٌ على الأئمة المعصومين أنفسهم، كما قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصفها: ((نحن حججُ الله على خلقه، وجدّتنا فاطمةُ حجّةٌ علينا))[٨]، وهذا النصّ الشريف يُظهر بوضوح أنّ مقام الزهراء عليها السلام لا يقتصر على كونها حجّةً على الناس، بل يتعدّى ذلك إلى كونها مرجعًا إلهيًّا للأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين هم أنفسهم حجج الله.

٢- شهادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

إذ جاء في التوقيع المبارك الوارد عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام، يُصرّح بأنّ في بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أسوةً حسنةً، إذ قال: ((وفي بنتِ رسولِ الله أُسوةٌ حسنة))[٩].

وهذا التعبير يُشير إلى أنّ الزهراء عليها السلام ليست مجرّد قدوة للنساء أو للمؤمنين، بل هي أسوةٌ حسنةٌ للأئمة أنفسهم، الذين يقتدون بها في السلوك والمقام.

ومن أسرار كون السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حجّةً على سائر المعصومين، أنّ مصحفها الشريف يُعدّ أحد مصادر علمهم الإلهي، ومَعينًا من مُعُن الغيب التي يستقون منها معارفهم، فالأئمة عليهم السلام، الذين هم عالمون بالغيب، كما ورد في الرواية: ((يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة))[١٠] فإنّ هذا العلم الغيبيّ، تارةً يتلقّونه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتارةً يستنبطونه من باطن القرآن الكريم، وتارةً يستمدّونه من مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام.

و في الخبر عن أَبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ((تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَ شْرِينَ وَمِائَةٍ وَ ذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام، قَالَ: قُلْتُ: وَ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً يُسَلِّي غَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكَ وَسَمِعْتِ الصَّوْتَ قُولِي لِي، فَأَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتَّى أَثْبَتَ مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفاً قَالَ ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ لَكِنْ فِيهِ عِلْمُ مَا يَكُون))[١١].

فأمير المؤمنين عليه السلام بذلك كان كاتب الآيات القرآنية في حياة النبيّ، وكاتب بهذا القسم من الوحي غير التشريعي بعد وفاته، وهو ما يُعرف بـ (مصحف فاطمة).

ومن أوجه حُجِّيّة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام على الأئمة المعصومين عليهم السلام، أنّهم جميعًا يعترفون بفضلها، ويفضّلونها، ويقرّون بكمالها وشرفها، ويُعدّ كلامها حجّةً عليهم، وطاعتها واجبةٌ عليهم، باستثناء أمير المؤمنين عليه السلام الذي يُعدّ نظيرها في العصمة والمقام.

مقام القدوة والأسوة

ومع كلّ هذه الفضائل، فإنّ ما يجب أن يُدركه الناس جميعًا، هو أنّ فاطمة بنت رسول الله عليها السلام، هي القدوة والأسوة العليا للبشرية، في الإيمان، والطهر، والجهاد، والعبادة، والتربية، والبلاغة، والسكين، فهذه الأحاديث، على سبيل المثال، تُثبت أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام إحدى حجج الله، وأنّ لها دورًا قياديًّا تربويًّا، بحيث كان الأئمة الأطهار عليهم السلام يُقدّمونها على أنفسهم، ويجعلون أفعالها وسلوكها أنموذجًا يُحتذى به، قد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: ((إنّ الله جعل عليًّا وزوجته وأبناءه حججًا على خلقه))[١٢].

فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام حجّةً على الخلق، وعلى الحجج، ومصدرًا للوحي غير التشريعي، ومَعينًا للعلم الغيبي، ومبلغة من قِبل جبرائيل، ومأمورةً بالطاعة من قِبل النبيّ، ومقدَّمةً في القدوة على الأئمة عليهم السلام، فهي بلا شكّ حُجَّةُ الله الكبرى، والأسوةُ الحسنى، والسرُّ الإلهيّ المكنون في عالم الإمكان.

وإنّ من الواجب علينا، في هذا المقام الجليل، أن لا نتوانى ولا نتساهل، بل أن نسعى بصدقٍ وإخلاصٍ لأن نُثبّت أسماءنا في سجلّ المحبّين لفاطمة الزهراء عليها السلام وأن نكون من الموالين لها قولًا وعملًا، فإنّ في ذلك النجاة، وفيه الفوز العظيم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنّي سمّيتُ ابنتي فاطمة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النار))[١٣]، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أنّ الزهراء عليها السلام في يوم القيامة، ستكون في مقام الشفاعة والانتقاء، تبحث عن أوليائها وشيعتها، وتُميّزهم من بين الخلائق، كما يُميّز الطائر الحبّ الجيّد من الرديء، كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((والله يا جابر، إنّها في ذلك اليوم (يوم القيامة) لتلتقطُ شيعتَها ومحبّيها، كما يلتقطُ الطائرُ الحبَّ الجيّدَ من الحبّ الرديء))[١٤].

---

١. المجلسي، بحار الأنوار: ٢٥/ ٤-٥.
٢. البحراني، عبد الله، موسوعة عوالم العلوم والمعارف: ١١/ ١٩٠.
٣. زاده آملي، حسن، شرح فصّ الحِكمة العصمتيّة في الكلمة الفاطميّة: ١٥٦.
٤. الصدوق، الأمالي: ٤٧٤.
٥. بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٢.
٦. القمي، عباس، مفاتيح الجنان.
٧. الصدوق، الخصال: ٢/ ٦١٨.
٨. البحراني، عوالم العلوم: ١١/ ١٩٠.
٩. المصدر نفسه.
١٠. الكليني، الكافي، ج ١، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون.
١١. المصدر نفسه: ١/ ٢٣٨.
١٢. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ١/ ٧٦.
١٣. بحار الأنوار: ٤٣/ ١٢.
١٤. تفسير فرات الكوفي: ٢٩٩.

إِنَّ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ (عليها السلام)

حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْخَلَائِقِ،

وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي مَقَامِ الْحُجِّيَّةِ

لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ

نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا أَوْ إِمَامًا

بلسانٍ عَلويٍّ مُبين

- الرؤية الكونية للإمـــام علي عليه السلام
  سبق علمي ومعرفي

د. الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة

- فكّ شفرة النجاح في نهج البلاغة
  دراسة تحليلية في فلسفة القيادة
  والإنجاز عند الإمـــام عليّ عليه السلام

الباحث: الشيخ فلاح محمد السعدي
الحوزة العلمية في النجف الاشرف

الرؤية الكونية للإمام علي عليه السلام
سبق علمي ومعرفي

د. الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة

إن المعرفة الإنسانية عبر التاريخ مرّت بمراحل طويلة من البحث والتجريب والاكتشاف، فكان الإنسان منذ أقدم العصور يتأمل السماء والنجوم والكواكب، ويحاول فهم ما وراء هذا الكون الفسيح، فتعددت النظريات وتباينت الرؤى بين فلسفية ودينية وأساطيرية، حتى جاءت النهضة العلمية الحديثة لتكشف عن كثير من الحقائق عن عالم الفضاء والكون.

ومع ذلك، فإنّ ما توصلت إليه البشرية بعد قرون من البحث المضني، كان قد أشار إليه الإمام المعصوم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، بعبارات جامعة وبيانات موجزة، تحمل في طياتها أعظم المعاني، فالإمام علي عليه السلام لم يكن عالِمًا تقليديًا يكرر ما هو سائد في عصره من تصورات بدائية عن الكون، بل قدّم رؤية علمية وعقدية متكاملة تستند إلى وحي النبوة وإلى علمٍ لدنيٍّ أودعه الله في قلبه.

مدرسة كونية كبرى:

إنّ العلم الحديث، على عظم ما كشفه من أسرار، لم يلغ الحاجة إلى علم الإمام المعصوم، لأنّ العلوم الطبيعية مهما بلغت من الدقة تبقى محصورة في مجال الظواهر المادية، أما الإمام فإنه يتجاوز حدود الملاحظة والتجربة ليكشف عن أسرار الخلق والغاية منه، فيربط بين حركة الأجرام وبين الهدف الإلهي من وجود الإنسان، فيضع للعلم بعده الغائي والروحي، ولعل التاريخ خير شاهد على أنّ كثيرًا من الحقائق التي اكتشفها العلماء بعد قرون كانت قد وردت في كلمات الإمام علي عليه السلام، سواء في حديثه عن نشأة الكون من مادة أولية، أو عن حركة الأفلاك، أو عن توازن الأرض واستقرارها بالجبال، وهي أمور لم يكن العقل البشري قادرًا على تصورها آنذاك لغياب الوسائل والأدوات التي نملكها اليوم.

من هنا فإنّ الحاجة إلى علم الإمام علي عليه السلام تتجلى في كونه مرجعًا معرفيًا يتكامل مع مكتشفات العقل البشري، فهو يسبقها ويفسرها ويضعها في إطارها الصحيح، وإذا كان الإنسان اليوم يقف مدهوشًا إزاء النظريات العلمية الكبرى مثل الانفجار العظيم وتمدد الكون والجاذبية الكونية، فإنّ نظرة سريعة إلى نصوص الإمام علي عليه السلام تكشف عن إشارات دقيقة لهذه الحقائق، بل تضعها في سياق إيماني يربط بين

العلـــم بالله والعلـــم بالكون.

إنّ العلـــوم الحديثـــة قد تفـــسر "كيف" يحدث الكـــون، لكنها تعجز عـــن الإجابة عـــلى "لماذا"، وهنـــا يأتي أثـــر الإمـــام المعصوم عليه السلام ليكشـــف عـــن الغاية مـــن الخلـــق، ويوجه الإنســـان نحو اســـتثمار هذه المعارف في خدمة الإيـــمان والعدالة والإنسانيـــة.

وبذلـــك يمكن القـــول: إنّ التاريـــخ والعلوم المتداولـــة اليـــوم لا تؤكـــد فقـــط قيمـــة العلم التجريبـــي، بل تثبـــت في الوقت نفســـه ضرورة الرجـــوع إلى علم الإمام المعصـــوم باعتباره مرجعًا أعـــلى يختصر عـــلى البشريـــة قرونًا مـــن البحث ويمنحها الأفق الأوســـع لفهم الكون والإنســـان، ومن هـــذا المنطلـــق يصبح عـــالم الفضـــاء عند الإمـــام علي عليه السلام ليس مجـــرد نصـــوص دينية، بل هو مدرســـة كونية كبرى ســـبقت العلم الحديث واحتوت نتائجه، بل تجاوزتهـــا لتضعها في منظومة فكرية شـــاملة تجمع بين الإيمان والعلم في أســـمى صور الانســـجام.

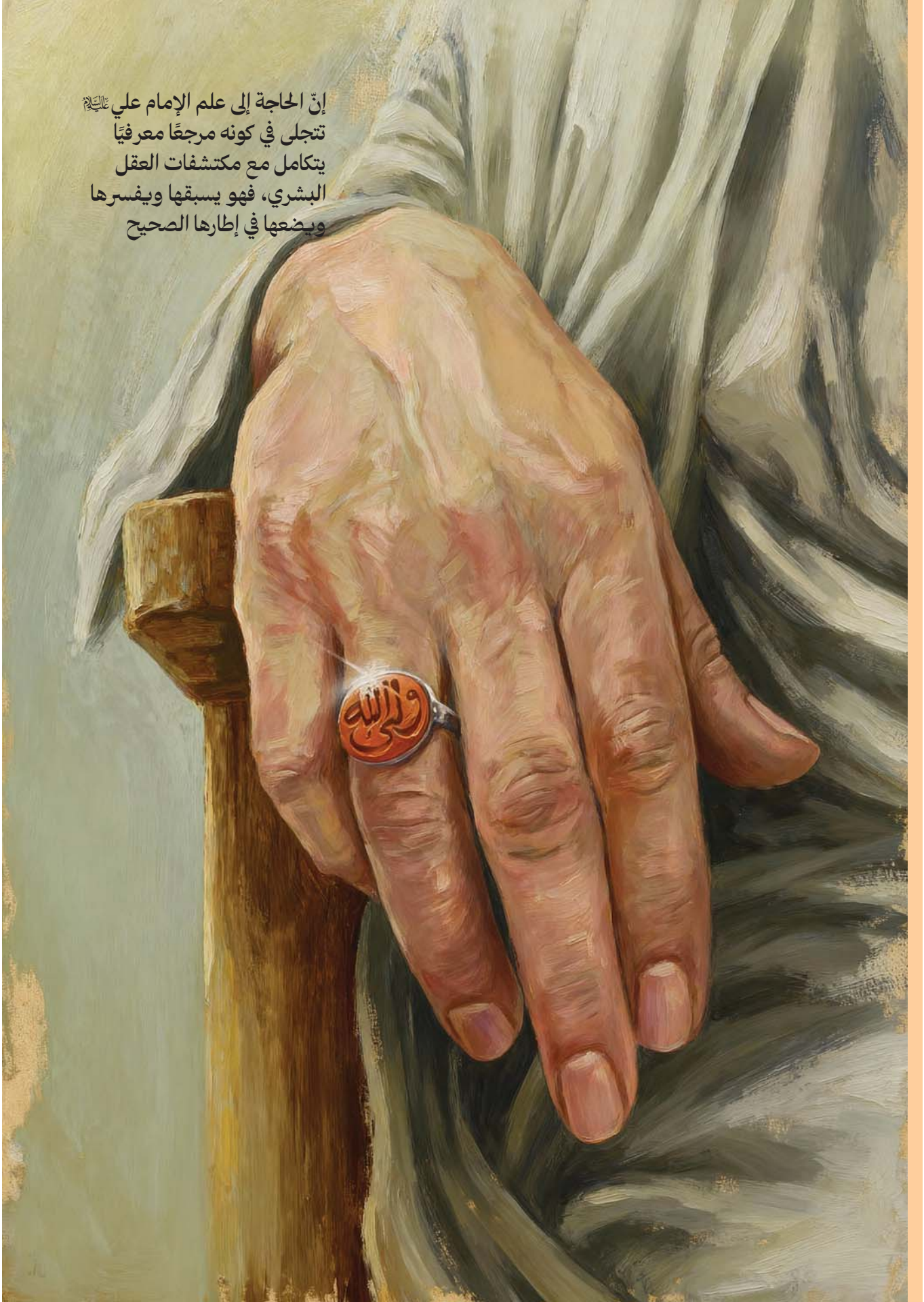
لـــذا يُعَدّ الإمـــام علي بـــن أبي طالب عليه السلام أبرز الشـــخصيات التـــي امتلكت رؤية كونية واســـعة تتجاوز حـــدود عصره، إذ عالـــج في خطبه وكلماته أسرار الكـــون وظواهـــره بعمق معـــرفي مذهل، يدل عـــلى أنّ معارفه مســـتندة إلى منبـــع الوحي، وارتباطـــه الوثيـــق برســـول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكـــن حديث الإمام عليه السلام عـــن الفضاء حديثًا أســـطوريًا أو خياليًـــا، بـــل جاء متســـقًا مع حقائـــق علمية أثبتتها الدراســـات الحديثة بعد قـــرون طويلة، ما يكشـــف عن الأفق العلمي الواســـع الذي يتسم به .

النظرة الشاملة لأمير المؤمنين عليه السلام

لقـــد تنـــاول الإمام عـــلي عليه السلام مســـألة خلق الســـماوات والأرض بنظرة شـــاملة، فأشـــار إلى تكويـــن الكـــون مـــن مـــادة أوليـــة مضطربة، فقال عليه السلام في نهج البلاغة: ((ثم أنشـــأ ســـبحانه فتق الأجواء وشـــق الأرجاء وســـكائك الهواء فأجرى فيها مـــاءً متلاطماً تيـــاره، متراكماً زخـــاره، حمله على متـــن الريح العاصفـــة، والزعـــزع القاصفة، فأمرها برده وســـلطها على شـــده، وقرنها إلى حده، الهواء مـــن تحتها فتيـــق، والماء من فوقهـــا دفيق، ثم أنشـــأ ســـبحانه ريحاً اعتقم مهبهـــا وأدام مربها وأعصـــف مجراها وأبعد منشـــاها، فأمرها بتصفيق المـــاء الزخـــار وإثارة مـــوج البحـــار، فمخضته مخض الســـقاء وعصفت بـــه عصفهـــا بالفضاء، تـــرد أوله على آخره، وســـاجيه عـــلى مائره، حتى عبّ عبابه ورمـــى بالزبد ركامـــه، فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فســـوى منه ســـبع ســـماوات، جعل ســـفلاهن موجـــاً مكفوفاً وعليا هن ســـقفاً محفوظاً...))[1].

إن هـــذا النص يكشـــف عن تصـــور علمي بالغ الدقة لنشـــأة الكـــون، قريب جـــدًا مما تقوله نظريـــة الانفجار العظيم، ورد حـــول تكوّن الكون من مادة أوليـــة ثم تمايزهـــا وانتظامها.

يُعَـدّ الإمـام علـي بـن أبي طالـب عليه السلام أبـرز الشـخصيات الـتي امتلكـت رؤية كونية واسـعة تتجاوز حدود عصـره؛ إذ عالج في خطبه وكلماته أسرار الكـون وظواهـره بعمـق معـرفي مذهـل، يدل علـى أنّ معارفه مسـتندة إلى منبـع الوحي وارتباطـه الوثيـق برسـول الله صلى الله عليه وآله


إنّ الحاجة إلى علم الإمام علي عليه السلام
تتجلى في كونه مرجعًا معرفيًا
يتكامل مع مكتشفات العقل
البشري، فهو يسبقها ويفسرها
ويضعها في إطارها الصحيح
ولي الله

كذلك تحدث الإمام علي عليه السلام عن حركة الأفلاك والكواكب والنجوم، مبينًا أن الكون في حركة دائمة، فقال: ((وأقام رصدًا من الشهب الثواقب على نقابها، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره، وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها، وقمرها آية ممحوة من ليلها، فأجراهما في مناقل مجراهما، وقدر سيرهما في مدارج درجهما، لتميز بين الليل والنهار بهما، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما))[٢].

وفي ذلك إشارة إلى النظام الدقيق الذي يحكم مسارات الأجرام السماوية، وفي موضع آخر شبّه النجوم بمصابيح الليل وطرق الاهتداء، مؤكّدًا أن لها وظائف متعددة، منها الزينة والهداية والحفظ من الشياطين، وهو ما ينسجم مع الرؤية القرآنية في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾[الملك: ٥].

وما يلفت الانتباه أيضًا أن الإمام علي عليه السلام تحدّث عن الأرض ككوكب ذي خصائص دقيقة تحفظ توازن الحياة، فقال: ((أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخد أوديتها))[٣].

وهذه الإشارة العميقة تفيد أنّ ثبات الأرض وتوازنها لم يكن عشوائيًا، بل خاضعًا لإرادة إلهية جعلت من الجبال أوتادًا تحفظ استقرارها، وهو ما أثبته العلم الحديث من أن للجبال جذورًا عميقة تحفظ القشرة الأرضية من الاضطراب.

ولم يقتصر حديث الإمام عليه السلام على الجانب الكوني الفيزيائي، بل تجاوز ذلك إلى الإشارة للأبعاد الماورائية لعالم الفضاء، إذ اعتبر السماء بابًا للعروج الروحي وميدانًا لظهور الملائكة وأوامر الله، فقال: ((وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره، وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها، وأجراهما في مناقل مجراهما...))[٤]، وهذا النص يحمل بُعدًا فلسفيًا وروحيًا، يجمع بين تفسير الظاهرة الطبيعية وإبراز دلالتها التوحيدية.

إنّ دراسة كلمات الإمام علي عليه السلام حول الفضاء تكشف عن انسجام مدهش بين التراث الديني والفكر العلمي الحديث؛ إذ استطاع عليه السلام أن يضع أساسًا لفلسفة كونية تجعل من الكون كتابًا مفتوحًا لآيات الله، تدعو الإنسان للتفكر والتدبر، وتؤكد أن المعرفة الحقيقية لا تنفصل عن الإيمان.

من هنا يمكن القول: إنّ عالم الفضاء عند الإمام علي عليه السلام ليس مجرد توصيف ظواهر، بل هو رؤية تكاملية توحّد بين المادة والروح، وبين العلم والعقيدة، في إطار منهج معرفي يسبق الزمن بقرون طويلة.

١- شرح نهج البلاغة: ١/ ٨٣.
٢- العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٢٠
٣- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ٣٠٣.
٤- قطب الدين الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٨٥.

فكّ شفرة النجاح في نهج البلاغة
دراسة تحليلية في فلسفة القيادة والإنجاز عند الإمـــام عليّ عليه السلام

الباحث: الشيخ فلاح محمد السعدي
الحوزة العلمية في النجف الاشرف

يُعدّ نهج البلاغة من أعظم النصوص الفكرية، التي ورثتها الأمة الإسلامية عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فهو سجلّ جامع لخطبه ورسائله وحكمه، يقدّم رؤية متكاملة للإنسان الناجح والقيادة الراشدة والمجتمع المتوازن.

وفي ظلّ الانبهار بالنجاح المادي المعاصر، يُبرز الإمام عليّ عليه السلام نجاحًا من نوعٍ آخر: نجاحًا أخلاقيًا وإنسانيًا وروحيًا وعقليًا، يربط بين صلاح الذات وإعمار الأرض.

العقل.. البوصلة الأولى للنجاح:

يرى الإمام عليّ عليه السلام أنّ العقل هو أصل النجاح وأساس الرشد، فيقول: ((العقلُ ما عُبِدَ به الرحمنُ واكتُسِبَ به الجنان))[1]، فالعقل في فكر الإمام ليس أداة معرفةٍ فحسب، بل قوة توجيهية تحدد مسار الحياة، ومن دون عقلٍ منضبط، يضلّ الإنسان عن هدفه، ولذلك يقول عليه السلام أيضًا: ((ثمرةُ العقلِ مداراةُ الناس))[2]، مما يعني أنّ النجاح الاجتماعي وليدُ الوعي والحكمة.

ومن هنا فإنّ أولى خطوات النجاح هي تحرير الفكر من الأهواء، وتغليبه على العاطفة العمياء، وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بقوله: ((استرشد العقل وخالف الهوى تنجح))[3]، محذرًا من طغيان الهوى على الرأي.

العمل والإتقان.. جوهر التفوق الحقيقي

العمل عند الإمام عليّ عليه السلام هو مقياس القيمة الإنسانية: ((قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسنُه))[4]؛ إذ يقاس العمل الصالح بناء على نتاج الأعمال نفسها فيثمر النجاح، ومثله قياس العمل الفاسد وبنفس المقياس والنتاج لكن يثمر الفشل، بهذا المبدأ يؤسس الإمام عليه السلام لفكرةٍ مركزية في فلسفة النجاح: أن الجدارة والإتقان هما معيار التفاضل، لا النسب ولا المال.

يُشدّد أمير المؤمنين عليه السلام على أن النجاح لا يتحقق بالتمنّي، بل بالجدّ والمجاهدة: ((مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ - ومَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ))[٥]، فمجرد القول الحسن بلا عمل صحيح ومتقن لا يؤدي إلى النتيجة الحقة والمطلوبة، ولا يثمر إلا أن يقترن بالفعل الحسن، فالأمنيات الخالية من التطبيق كسل، والكسل مآله للخسران والخيبة، فعنه عليه السلام: ((مَنْ دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ))[٦].

ويقول عليه السلام في موضع آخر: ((... العمل العمل، ثم النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة، ثم الصبر الصبر، والورع الورع، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم علمًا فاهتدوا بعلمكم))[٧]، مؤكدًا ضرورة أن يكون العمل مؤسسًا على علمٍ وبصيرة، وجهد وتوكل وسعي، بلا غشٍ وخداع، بل لا بد من الورع والنظر للنهاية الطيبة الآمنة، التي يحققها العلم فيما لو تم الاهتداء به، وهو شرط النجاح في الفكر العلوي.

الزهد والتوازن.. نجاح بلا استعباد للمادة

الزهد في نهج البلاغة ليس انقطاعًا عن الدنيا، بل تحررًا منها، إذ يقول الإمام عليه السلام: ((الزهدُ كلُّه بين كلمتين من كتاب الله: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[الحديد: ٢٣]، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه))[٨].

عاش أمير المؤمنين عليه السلام حياة الزهد رغم منصبه، ورفض التميز عن الرعية في المعيشة، فكانت سمات التواضع والمساواة عنده أساس الخلق الرفيع والمنبع الصادق، فعاش حياته الدنيا للآخرة، ويبين عليه السلام هذا المفهوم عمليًا حين يقول: ((الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ والنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ - رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَه فَأَوْبَقَهَا ورَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَه فَأَعْتَقَهَا))[٩]، فالحياة الدنيا بمثابة رحلة نكون فيها ضيوفًا، وينبغي على كل ضيف أن يستثمر وقته في ما هو نافع ومفيد، ويوظف وقته لتحقيق المنفعة، وأن يكون ذلك دافعًا له في طريقة لقائه بالآخرين وحديثه معهم والاستماع إليهم، لتحقيق المنفعة المتبادلة في اللقاءات والتفاعلات مع الآخرين.

فالزهد بهذا المعنى هو لتحقيق التوازن النفسي الذي يجعل الإنسان يملك المال من دون أن يملكه المال، فهذا هو الذي اشترى نفسه واعتقها وحررها، وعمل للدنيا بقدر بقائه فيها، وللآخرة بقدر بقائها له.

العدالة والمسؤولية.. البعد الاجتماعي للنجاح

النجـــاح في فكـــر الإمـــام عـــليّ عليه السلام ليس نجاحًـــا فرديًـــا فقط، بـــل مـــشروع إصلاح اجتماعـــي، فـــكان عليه السلام يرى أن الحكـــم "أمانةً" وليس "مغنـــماً" أو "امتيازاً"، ففـــي عهده لمالك الأشـــتر، يقدم قواعـــد الحكم الرشـــيد، قائلاً: ((وأَشْـــعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّـــةِ - والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْـــفَ بِهِمْ - ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَـــبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِـــمُ أَكْلَهُمْ - فَإِنَّهُـــمْ صِنْفَانِ إِمَّـــا أَخٌ لَكَ فِي الدِّيـــنِ - وإِمَّا نَظِـــيرٌ لَكَ فِي الْخَلْـــقِ-))[10].

ويقـــول مولانا أمير المؤمنـــين عليه السلام في موضع آخـــر: ((العدل يضع الأمـــور مواضعها، والجود يخرجهـــا مـــن جهتهـــا. والعدل ســـائس عام، والجـــود عـــارض خـــاص. فالعـــدل أشرفهما وأفضلهما))[11].

مـــن هنـــا يظهـــر أن العدالة هـــي الركن المؤســـس لنجاح الأمة، وأن الإنســـان ســـواء أكان حاكمًا أم مســـؤولًا لا يُعـــدّ ناجحًا ما لم يقم بالقســـط ويحفظ كرامـــة الناس، ويعـــدل بينهم في ما يســـتحقون ويكونـــون فيه مـــن الموضع الصحيـــح، إذ إن العدل ســـائس عام يشـــمل الجميع وينظـــم الأمـــور، وهو مـــن مقومات النجـــاح العليا في حيـــاة الشـــعوب، ولا بد في العدل مـــن مخالفة الهوى وحكـــم الهوى، حيث في خطبـــة له عليه السلام يصف أحب العبـــاد لله، يقول: ((... قد ألزم نفســـه العدل، فـــكان أوّل عدله

إن الإخـلاص عنـد الإمـام ليـس مجـرد خلقٍ روحـي، بـل هـو الطاقـة الدافعـة للإبـداع والنجـاح الحقيقـي، لأنـه يحرّر الإنسـان من طلب المـدح أو الخـوف من النقـد، ويوجه عملـه نحـو الحـقّ وحده.

نفـــي الهوى عـــن نفســـه...))[12]، فـــكان من مقومـــات العدل، بل أساســـه هـــو نفي الهوى وهي ابلـــغ من مخالفـــة الهوى.

الإخلاص والنية.. الطاقة الروحية للنجاح:

كلما كان الإنســـان مخلصًـــا كان عمله بصدق وتفـــانٍ، إذ يكون النظـــر عنده إلى أن يســـعى للقيـــام بواجبـــه على أكمـــل وجه، ممـــا يحقق فيـــه التمييـــز والنجـــاح، وتلـــك منزلة كبرى عنـــد الباري جـــلّ وعـــلا، كما ورد عـــن أمير المؤمنـــين عليه السلام: ((...في صفة المخلـــص من عباد الله فهـــو من معادن دينه وأوتـــاد أرضه...))[13]، فما أعظمه مـــن وصف وما أكملـــه من حديث، فإن العمـــل لا يُثمـــر إلا إذا خَلُصـــت النية لله تعالى، وخلاصهـــا بمثابة محفز داخـــلي ينبع من

ذات الإنسان يمنحه طاقة، ويزيد لديه الرضا النفسي المنتج للاستمرارية، وكذلك من حوله من الناس سواء أكانوا أقارب أم أصدقاء أم زملاء في العمل، حيث ترتفع نسبة بناء الثقة مما يوفر محيطًا متحركًا داعمًا للنجاح.

إن الإخلاص عند الإمام ليس مجرد خلقٍ روحي، بل هو الطاقة الدافعة للإبداع والنجاح الحقيقي؛ لأنه يحرّر الإنسان من طلب المدح أو الخوف من النقد، ويوجه عمله نحو الحقّ وحده، وهذا بيانه في كلام سيد المتقين (عليه السلام): ((...بحسن الأفعال يحسن الثّناء * بالإخلاص ترفع الأفعال...))[١٤].

يُظهر التحليل أن الإمام عليًا عليه السلام قد وضع في كلماته النورانية، سواء في نهج البلاغة أم في مصادر ومراجع أخرى، معادلة فريدة للنجاح تتكوّن من خمسة أركان مترابطة:

(العقل الهادئ الذي يوجّه المسار – العمل المتقن الذي يعبّر عن القيمة – الزهد الواعي الذي يحرّر من التعلّق – العدالة الاجتماعية التي تحقّق الاستقرار – الإخلاص الذي يمنح العمل بُعده الروحي).

وبهذا يمكن فك شفرة النجاح عن طريق العلم والمعرفة بالنهج العلوي المبارك، والانتقال من حيز النظرية إلى التطبيق، إذ يتبين أن النجاح في المنظور العلويّ ما هو إلا عملية بناء متكاملة، تبدأ من الذات وتنتهي بالمجتمع، هدفها النهائي هو رضا الله وإعمار الأرض وإصلاح الإنسان، لينعم بالخير والعدل.

---

١. البرقي، المحاسن: ١/ ٣١٠، الكليني، الكافي: ١/ ١١.
٢. عبد الواحد الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم،: ٣٢٨.
٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة،: ٤/ ٧٢٨.
٤. خطب الإمام علي عليه السلام تحقيق صالح، نهج البلاغة،: ١٥.
٥. المصدر نفسه.
٦. عبد الواحد الآمدي التميمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم،: ٤٦٣.
٧. نهج البلاغة: ٢/ ٩٢.
٨. نهج البلاغة: ٤/ ١٠٢.
٩. خطب الإمام علي عليه السلام تحقيق صالح، نهج البلاغة،: ٤٩٣.
١٠. المصدر نفسه: ٤٢٧.
١١. نهج البلاغة: ٤/ ١٠٢.
١٢. المصدر نفسه: ١٥٢ – ١٥٣.
١٣. ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ٢٤١.
١٤. عبد الواحد الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٩٩.


صوتي للوطن
١٤٤٧

الحقائق العقلية في نهج البلاغة

إن الحقائق الفلسفية في أقوال الإمام عليه السلام تمتاز عن سائر الحقائق الواردة في علم الفلسفة من نواحٍ عدة، منها الصواب في الأفكار المطروحة في هذا المجال على طول الخط، وتطابقها مع الفطرة الإنسانية بشكل تام؛ إذ لا نجد مفردة من المفردات العقلية الواردة في نهج البلاغة تتعارض مع أصل فكري أو مع الأفكار الأخرى المرتبطة بها أو القريبة منها، بل نجد أن المفاهيم العقلية الواردة في كلامه عليه السلام، يصدّق بعضها بعضا، ويدعم بعضها بعضا، وتسير على الصراط المستقيم، مع العلم بأن هذه الكلمات جاءت مبثوثة في خطب متعددة قالها عليه السلام في مناسبات مختلفة وأوقات متباعدة من الزمن.

أمّا في مضمار عرض المعلومات الفلسفية فان كلام الإمام عليه السلام يتجه في اتجاهين رئيسين، الأول يتمثل في تقرير الحقائق العقلية، وهذه التقريرات - بالطريقة التي قُدّمت فيها- تهدي التفكير إلى الصراط المستقيم، وتقوّمه للوصول إلى الحقيقة المرجوة من دون لبس، أما الاتجاه الثاني فيتمثل في عرض الحقائق الإلهية مع أدلتها العقلية المتينة والكاملة.

وفي هذا المجال نورد جانبا من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة تتناول جانبا من الحقائق العقلية، حيث قال عليه السلام: (مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ، كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ)[1].

ففي هذا المقطع من هذه الخطبة المباركة يضع عليه السلام المعارف المتعلقة بصفات الله سبحانه وبأفعاله ضمن قواعد عقلية مميزة، فمثلًا في قوله: (كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ) يطلق عليه السلام قاعدة فلسفية مؤدّاها: أن كل شيء إذا عُرف بنفسه ولم يُعرف بآثاره فهو مخلوق، لأنه لا يمكن للشيء المعروف بنفسه إلا أن يكون محدودًا تحيط به المعرفة وتشخّصه، والمحدود دائمًا يفتقر إلى غيره، ومن ثَمّ فهو ليس بخالق بل مخلوق (مَصْنُوعٌ)، أن بعض المخلوقات لا تعرف بنفسها، وإنما تُعرف بآثارها ـــ كالجاذبية مثلًا ـــ قلنا إن الإمام عليه السلام يستدرك هذا النوع من المخلوقات بقوله مباشرة: (وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ) إذ إن الجاذبية وما شابهها من الأعراض وإن كانت لا تُعرف بذاتها ولكنها تعتمد في وجودها على غيرها -إذ لولا وجود الاجسام لم تكن هنالك جاذبية مثلًا- وهذا واضح فيه أن هذا الموجود غير قائم بذاته، وإنما هو قائم بغيره(قَائِمٍ فِي سِوَاهُ) وبالتالي فهو مخلوق(مَعْلُولٌ).

١- نهج البلاغة ٢: ١٢١.


قال رسول الله
علي مني

الصِّراطُ المُستقيم

- الإمـــام عـلي عليه السلام
ونظام الحرف والمهن الحرة

فاضل عباس الملا
قاضٍ متقاعد

- الإمـــام عـلي عليه السلام
ومنهجه العقلي في التفكير العلمي

أ.د. مازن الحسني
جامعة واسط/ كلية التربية البدنية
وعلوم الرياضة

الإمـــام عـلي عليه السلام
ونظام الحرف والمهن الحرة

فاضل عباس الملا
قاضٍ متقاعد



جاء في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حين ولّاه مصر نصٌّ مبارك بيّن فيه الأسس المطلوبة إزاء ذوي المهن وأصحاب الصناعات المختلفة، إذ قال:

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.

وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَشُحّاً قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنَعَ مِنْهُ وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ[1].

وعند تحليل هذا النص العلوي البهي نجده قد تضمن أمرين مهمين:

الأول ينصب على ضرورة رعاية ذوي المهن الحرة وذوي الحرف المختلفة والاهتمام بهم وتفقد أحوالهم.

أما الأمر الآخر: فيقوم على وجوب مراقبة أعمالهم الحرفية والتجارية لمنع انزلاقهم إلى الاحتكار والغش في التعامل أو إنقاص الكيل والوزن ... وما إلى ذلك، مما نهى الشارع المقدس عن إتيانه.

رعاية ذوي المهن والحرف:

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام واليه مالك الاشتر بضرورة رعاية ذوي المهن وأصحاب الحرف المختلفة، بما فيهم التجار، إذ قال (أوص بالتجار وذوي الصناعات خيرًا)، فالصناعات تنصب على أي عمل فكري وجسدي كالخياطة والصياغة والبناء وما إليه[2]، أما التجارة فهي محاولة الكسب بتنمية المال جملة بالرخيص وبيعها إلى أصحاب المحال المهنية بالمفرد، بالشكل الذي تدر عليهما ربحًا ما[3].

لأنهم (مواد المنافع وأسباب المرافق) بحسب تعبيره البهيّ، فكل إنسان لا يمكنه الاستغناء عن ما نتجته أيدي أصحاب الحرف، وما يقدمه ذوو المهن الحرة من ضروريات حياتية.

والحق أن القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة وردت توجيهات إلى ذوي المهن والحرف ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**﴾[البقرة: ٢٧٥]، وفي سورة النساء جاء قوله تعالى: ﴿**أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾[النساء: ٢٩] وغيرها من النصوص الشريفة، كما أن نبي الأمة صلى الله عليه وآله حث على العمل والكسب بقوله الشريف ((إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس وأن الله يحب العبد المحترف))[4].

وذكر الرواة انه صلى الله عليه وآله شـــاهد خشـــونة يد ســـعد بـــن معاذ الانصـــاري فســـأله عن الســـبب فقال: ((أثـــر المســـحاة أضرب وأنفـــق على عيـــالي فقال الرســـول: هذه يد لا تمســـها النـــار))[٥].

وورد عنـــه صلى الله عليه وآله أنه قـــال: ((مـــا أكل أحدكم طعامًا قـــط خيرًا مـــن عمل يـــده))[٦].

وروي أنه قد سئل صلى الله عليه وآله عن أي المال خير؟

فأجـــاب: ((زرع زرعه صاحبـــه وأصلحه وأدى حقه يوم حصاده، ثم سُـــئل مرة أخـــرى، وأي المال بعد الزرع؟ أجاب: رجـــل في غنمه))[٧].

لهذا نجـــد عليًا بعد استشـــهاد نبـــي الأمة صلى الله عليه وآله قضى ٢٥ ســـنة يعمل في الأرض التي أعطاه الرسول إليه ســـهمًا من الغنائم في واقعة (العشـــيرة)[٨] وهي أرض جرداء تقـــع في ضواحي المدينـــة إلا أنها غنية بالمياه الجوفيـــة وخصوبتها، فقـــام عليه السلام بحفر الآبار فيها فنبـــع منها المـــاء كهيئـــة عنق البعير فســـماها ينبع[٩] وقام بـــزرع النخيل فيها واســـتصلحها حتى قيل أنـــه أول من زرع المـــوز فيها[١٠].

فأمـــير المؤمنين عليه السلام لم يغفـــل عن أثـــر الانتاج الزراعـــي في التنميـــة الصناعية، بل ســـعى في نقل حياة البدوي – الذي اعتاد الترحال – إلى الاســـتقرار للعمل في فلاحـــة أرض ينبع، لهذا قيـــل أن البداوة هي أســـاس الحضارة، لأن الحيـــاة الصحراوية التي يعيشـــها البدوي، وهـــو يواجه رمالهـــا اللاهبة عبر ترحاله هـــي الحافـــز في انتقاله من مرحلـــة البداوة والترحال إلى مرحلة التحضر والاســـتقرار، لأن كل إنســـان يفضّل ويسعى إلى راحته وســـعادته في دنياه، فقد أعطى الإمـــام عليه السلام فرصته للبـــدوي في هجران حيـــاة الصحـــراء اللاهبـــة والانتقال مســـتقرًا بين الزرع والخضـــار تحقيقًا لتلك الراحة والســـعادة.

فالزراعـــة تـــؤدي إلى نمو الصناعـــات والحرف المختلفـــة وذلك مـــن ناحيتين:

١- إنها تقـــدم للمشـــاريع الصناعيـــة رؤوس الأمـــوال مـــا دامـــت واردات الارض تذهب إلى جيـــوب أصحـــاب الأراضي الزراعيـــة، الذين هم بحاجة إلى المنتجـــات الصناعية لتحقيـــق الرفاه لهم، فتســـتثمر تلـــك الأموال لهـــذا الغرض.

٢- إن المـــواد الخـــام للصناعة تعتمـــد بالدرجة الأولى على المحاصيـــل الزراعية، فصناعة النســـيج تعتمد على القطـــن والحرير والكتـــان[١١]، وصناعة الســـكر بحاجة الى قصب الســـكر وهكذا دواليك.

وتأسيســـا عـــلى ما تقـــدم فأن الاهتـــمام بذوي المهن والحـــرف المختلفـــة ضرورة تمليهـــا حياة كل مواطن؛ لذلـــك أوصى الإمـــام عليه السلام واليه بوجوب رعايتهم وتفقـــد أمورهم.

رقابة ذوي المهن وتنظيم الحرف:

لمـــا كان كثـــير من أصحـــاب المهـــن والحرف المختلفة في حـــال من عـــسر المعاملـــة والاحتكار والتحكم في الســـوق ، فإن منع مثـــل هذه التصرفات ضرورة يمليها الشـــارع الاســـلامي، لهـــذا لابد من مراقبة كل من تســـوّل له نفســـه مـــن أرباب المهن والحـــرف الانـــزلاق إلى مثل تلـــك التصرفات؛ كي يكـــون البيع بيعًا ســـمحًا، بموازين عدل وأســـعار لا تجحف بالفريقـــين من البائـــع والمبتاع).

لهذا نجده عليه السلام عندما شـــاهد خياطًـــا قد انطوى عملـــه على خيانة قـــال له: ((صلّـــب الخيوط ودقق

إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يغفل عن أثر الإنتاج الزراعي في التنمية الصناعية، بل سعى إلى نقل حياة البدوي - الذي اعتاد الترحال - إلى الاستقرار للعمل في فلاحة أرض ينبع .

الدروز وقارب الغرز فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط فيه واحذر المقاطعات فإن صاحب الثوب أحق به)[١٢].

فصحيح أنه عليه السلام أوصى ولاته برعاية أصحاب الحرف والمهن وصحيح أنه قال (لست أرى أن أجبر أحدًا على عمل يكرهه) إلا أن الحرية هذه يجب أن يشوبها الشعور بالمسؤولية، بحيث يصح أن تتعدى شروطها وضوابطها الشرعية فمن خان مهنته واقترف الغش أو التلاعب في الميزان والمكيال أو تعامل فيما لا يسمح الشرع التعامل به مثل الخمر ولحم الخنزير فعلاجهم بالعقاب التعزيري، إن لم ينفعهم النهي عن مزاولة مثل تلك التصرفات والأعمال بدليل قوله عليه السلام في العهد (فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكّل وعاقب في غير إسراف) لأن المحتكر يظلم المستضعفين بخبزهم ومائهم والاحتكار نقيض عدالة الإسلام، أساسًا فقد قال سبحانه وتعالى في سورة النساء ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾[النساء: ٢٩]، ويشمل هذا النهي إضافة للاحتكار الغش والتلاعب في الأسعار والميزان والمكيال فقد جاء في سورة المطففين ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[المطففين: ١-٣].

وقد باشر الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، عبر تجواله في أسواق المدينة، بمنع الاستغلال ومراقبة المكاييل والموازين، وقد نهج نهجه الإمام علي عليه السلام، إذ كان يطوف بالطرق ويأمر الناس بنزاهة البيع ويسأل عن الأسعار، ومن اجراءاته الفورية نذكر كسره لأواني الخمر وأدوات الطرب[١٣].

ولما كانت مهمات الخلافة ومستلزمات الإمامة تتطلب تسيير أمور البلاد والعباد في الجوانب كافة ،وما يستتبع ذلك من لزوم تنظيم شؤون الأمة والرعية عبر تنظيمات ومؤسسات كفوءة وأجهزة متخصصة ونزيهة وكل بحسب طاقته، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وانطلاقًا من هذه المسلّمة فإنه عليه السلام ابتكر نظامًا للحرف بشكل لم يسبق له مثيل؛ إذ جعل لكل حرفة نظامها وضوابطها ومسؤولها، الذي يقتضي على أصحاب حرفته الاهتداء برأيه والاقتداء بعمله، والذي هو في الوقت نفسه المشرف الذي ينضوي في لواء حرفته أصحاب مهنته بشكل مقارب إلى نظام النقابات العمالية في عصرنا الراهن.

وقد اطلق على أولئك المشرفين كلمة (الأصول) كونهم يأخذون منه أصول المهنة وضوابطها، وهم في الحقيقة من أجلاء أصحابه البررة، من الصحابة والتابعين، وقد بلغ عددهم سبعة عشر شخصا[١٤]، ممن توسم فيهم الرغبة الصادقة في الارتفاع بالمسلك الإنساني والأصالة وصلابة الموقف، والمواجهة بالشكل الذي لم يسمحوا في التلاعب، ونهب أموال الناس وإغماط

حقوقهـــم المشروعة، بما يخالف العـــدل الاقتصادي، وهم كما جـــاء في مخطوطة (الذخائـــر والتحف)[١٥] كلٌّ من:

١- ســـلمان الفارسي[١٦]: كانت مهنتـــه هي الحلاقة، لذلـــك كان مشرفًا عـــلى أعمال الحلاقـــين، وكل من تعاطـــى الموس يكـــون تابعًا له حتـــى الحجامية.

٢- أبـــو ذر الغفـــاري[١٧]: كان يصنع الـــبراذع[١٨] وكذلـــك أرحال الجمال ومـــا يتعلق بهـــا، وكل من مارس صنع هذيـــن النوعين من المهن يكـــون تابعًا له وتحـــت إشرافه.

٣- كميل بـــن زيـــاد[١٩]: وهو المـــشرف على مهنة البناء والهندســـة كون مهنته هي البناء، وكان مرشـــد البنائـــين وقدوتهم في عمله.

٤- عبد الله بـــن عباس[٢٠] كان قدوة المزركشـــين في الأقمشـــة وكل من نقـــش أو زركش تحـــت إشرافه ورعايته.

٥- قنبر[٢١]: كان يســـوّس ويداوي الجـــمال، أي أنه بمثابـــة طبيب بيطـــري في المصطلح المعـــاصر؛ لذا فإن الســـياس والجـــمّال يرجعون إليـــه لتزويدهم بما يعـالج جمالهـم.

٦- عمر بـــن أمية الضمـــري[٢٢] كان ســـاعيا لبني الأمة وكل ســـاع ينســـب اليه.

٧- بلال الحبشي[٢٣]: شيخ المؤذنين ومرجعهم.

٨- بريدة الأســـلمي[٢٤]: حامل ســـنجق الرســـول الأعظـــم صلى الله عليه وآله، وكان كل مـــن حمـــل رايـــة تابعًا له وتحـــت إشرافه.

٩- صهيب الرومي[٢٥]: موجه الحمّالين والعتـــالين.

١٠- ذنون المـــصري[٢٦]: زعيم الحكماء ومرشـــدهم في أعمالهم.

١١- الشـــيخ الفضيل البصري[٢٧]: وجميع المشـــايخ تابعـــون له.

١٢- الســـيد الزنجـــي رضـــوان[٢٨]: وكل امـــراء الاتـــراك مـــن أربـــاب المراتب تحـــت اشرافه.

١٣- جرمود القصـــاب[٢٩]: كان يمتهـــن القصابة، لـــذا فإن جميـــع القصابين تحـــت إشرافه.

١٤- أبو الدرداء العامـــري[٣٠]: مهنته الخياطة فكان جميع الخياطين والحبالين والخواصين تحـــت إشرافه.

١٥- أبـــو عبيـــد الرمـــزي الريـــس[٣١]: كان عالما بالبحار والأهوية واســـتعمال الســـفن وكل عامل في الســـفن تابع له.

١٦- أبـــو النضر الحيـــاك[٣٢]: إذ إن مهنته هي الحياكة فـــإن جميع الحياكـــين ومن اســـتعمل المكـــوك من النساجين هم تحت إشرافه وتـــابعـــون لـــه.

١٧- المعجز القصـــار[٣٣]: وجميـــع القصارين تحت إشرافـــه ومراقبته في أعمالهـــم المهنية.

ابتكـر أمـير المؤمنـين عليه السلام نظامـا للحِـرف، بحيـث جعل لـكل مهنة أو حرفة مشـرفًا على مـن يزاولها، بالشـكل الـذي لم يسـبقه إليه أحـد.

خلاصة الحديث:

على ضـــوء ما تقـــدم يتضـــح لنا مـــدى اهتمام

الإمـــام علي بـــن أبي طالب عليه السلام بـــذوي المهن الحرة والحرف عـــلى اختلاف أصنافهـــا، وضرورة حمايتهم وتفقد أحوالهم، وفي الوقت نفســـه أوصى بمراقبتهم والتأمل في أعمالهم المهنية، بالشـــكل الذي لم يســـمح لهم فيه بالخـــروج عن ضوابـــط كل مهنة وشروطها الشرعية الـــواردة في الكتاب والســـنة، فمن تجازوها يلزم الإيعاز لـــه بالامتناع عن تصرفـــه وإلا يعاقب تعزيرًا وفقًا لجسامـــة فعلـه.

وقـــد ابتكر أمـــير المؤمنين عليه السلام نظامًـــا للحرف، بحيـــث جعل لكل مهنـــة أو حرفة مشرفًـــا على من يزاولها بالشـــكل الذي لم يســـبقه إليـــه أحد، وكان عدد المشرفـــين المعبر عنهم بـ(الأصول) ســـبعة عشر شـــخصًا من أجـــلاّء أصحابه، وذلـــك انطلاقًا من المهن المعروفـــة آنـــذاك وكانت مهمتهم إرشـــادية ورقابية بالوقت نفســـه.

والملاحظ أن خـــبراء الاقتصاد المعـــاصر أجمعوا على وجـــوب رعايـــة ومـــؤازرة أصحـــاب المهن المختلفـــة والعاملين فيها؛ توخيا منهم لحســـن الأداء، وأُصدرت القوانـــين لدعم انتاجهـــم تحقيقًا للتنمية الاقتصاديـــة المطلوبة.

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٥/ ٦٠.
٢- الشيخ مرتضى الأنصاري، المكاسب: ١/ ٣٣.
٣- القاضي توفيق الفكيكي، الراعي والرعية: ١٩٣.
٤- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين: ٢/ ٦١.
٥- ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٣٦.
٦- فاضل عباس الملا، الفرائد العظمى: ١٤٩.
٧- الشيخ الصدوق، الخصال: ١٤٦
٨- تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٥.
٩- فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ١٥١.
١٠- ابن خالويه، مختصر في شواذ القران: ١٥١.
١١- آدم متز، الحضارة الاسلامية: ٤/ ٢٤٤.
١٢- ورام المالكي، تنبيه الخواطر: ٣٩.
١٣- فاضل عبـــاس الملا، الإمـــام علي ونهجـــه في القضاء: ٢٦٠.
١٤- الدكتورة صبـــاح ابراهيم الشـــيخلي، أصناف في العصر العباسي: ١١٩.
١٥- المصدر نفسه.
١٦- صحابي معروف، ظ: ابن حجر، الاصابة: ٢/ ٦٣.
١٧- صحـــابي جليل وكان مـــن الزهاد المشـــهورين، ظ: ابن حجـــر، الاصابة: ٦٣-٦٣
١٨- الـــبراذع جمـــع بـــرذع وهو مـــا يوضع تحـــت الرحل، الـــرازي، مختار الصحـــاح: ٤٧.
١٩- كميـــل هو مـــن حواريي أمير المؤمنـــين عليه السلام، ابن حجر: الإصابة: ٣/ ٣١٨.
٢٠- صحابي جليـــل وهو ابن عـــم أمير المؤمنـــين، ابن عبد البر، الاستيعـــاب: ٢/ ٣٥٠.
٢١- هـــو قنـــبر بن حمنـــدان مولى أمـــير المؤمنين وقـــد قتله الحجاج بســـبب حبه لعلي، رجـــال ابـــن داود: ١٥٤.
٢٢- صحابي معروف، الاستيعاب: ٢/ ٥٣٤.
٢٣- هو مـــولى الرســـول الاعظم صلى الله عليه وآله وقد توفي في دمشـــق مصابـــا بالطاعون، رجال ابـــن داود: ٥٨.
٢٤- هـــو بريـــده بـــن الحصين الاســـلمي من شـــيعة امير المؤمنـــين راجع ترجمتـــه في مجالس المؤمنين للقـــاضي المرعشي: ١/ ٣٩٤.
٢٥- مـــن الصحابة الذي تـــوفي عام ٣٨ للهجـــرة، ابن عبد البر، الاســـتيعاب: ٢/ ١٩٥.
٢٦- لعله طلحة بن خويلد الأســـدي المعـــروف بهذه الكنية، ظ: ابن حجـــر، الاصابة: ١/ ١٤٦.
٢٧- لم اعثر على ترجمته.
٢٨- لعلـــه (ركان) وهو من أصحـــاب الإمام علي عليه السلام، رجال الطوسي: ٤١.
٢٩- جرمـــود القصاب، هذا قـــد يكون اســـمه من تحريف النســـاخ وارى ان جرمـــوز الهجيمي وهو مـــن الصحابة، ظ: ابن عبد البر، الاســـتيعاب: ١/ ٢٣٠، رجـــال الطوسي: ١٤.
٣٠- ورد اســـمه ضمن الصحابة، ابن عبد البر، الاســـتيعاب: ٤/ ٦١.
٣١- لعله أبو الســـفن المشـــار إليه ضمن أصحاب الإمام عليه السلام وقد ذكره الشـــيخ الطوسي في رجاله: ٦٦
٣٢- قـــد يكون أبو نـــضرة العبدي الـــذي كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، رجـــال الطوسي: ٦٤.
٣٣- لم أعثر على ترجمة له.

الإمـــام عـلي عليه السلام ومنهجه العقلي في التفكير العلمي

أ.د. مازن الحسني
جامعة واسط/ كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

يُعَدُّ الإمـام علـي بـن أبي طالـب عليه السلام أعظـم الشـخصيات الفكريـة والروحيـة في التاريـخ الإنسـاني بعد النبي الاكـرم صلى الله عليه وآله، إذ جمع بين عمق الإيمـان ونور العقل واتسـاع المعرفـة، فهو لم يكـن إمامًـا في الدين فحسـب، بـل كان مفكرًا في منطقـه، وعالمًـا في نظرتـه إلى الكون والإنسـان والحياة.

وقد أسّـس عليه السلام منهجًـا عقليًا علميًـا متكاملًا يُعـدّ ركـيزةً مـن ركائـز الفكـر الإسـلامي المبكر، يتجلّـى فيـه تـوازن الإيمـان والعقـل، والوحـي والعلـم، والتجربـة والتأمل.

العقل في فكر الإمام علي عليه السلام:

إن العقـــل عند الإمـــام علي عليه السلام هو أســـمى ما منحه الله للإنســـان، وهو الوســـيلة التـــي بها يعرف ربـــه، ويهتدي به إلى الحق، ويقيـــم العدل في الأرض، إذ روي عنه عليه السلام قولـــه: ((على قـــدر العقل يكون الدين، على قـــدر الدين تكـــون قوة اليقـــين))[1]، فأمـــير المؤمنين عليه السلام يجعل مـــن العقـــل أداة للعبادة وميزانًـا للهدايـة.

وفي هـــذا التحديد العميـــق يبرز فهـــم الإمام لعلاقة الإنســـان بخالقـــه عن طريـــق العقل الذي يُعتـــبر (الحجة الباطنـــة) مقابل (الحجـــة الظاهرة) المتمثلة في الرســـائل الســـماوية التي أتى بها الرســـل والأنبيـــاء.

دعا الإمام أمـــير المؤمنـــين عليه السلام إلى تحرير العقل مـــن أسر التقليـــد والجمـــود، فحذّر مـــن الانقياد الأعمى عـــبر قولـــه عليه السلام: ((هلك فيَّ اثنـــان: محبّ غالٍ، ومبغـــض قـــالٍ))[2]، أي: أن الغلو والتعصب يُلغيـــان وظيفة العقـــل، التي تقوم عـــلى الاعتدال والفهم المتـــزن للأمور.

من هنـــا كان فكـــره عليه السلام منفتحًا عـــلى البحث والتســـاؤل، بعيدًا عن الانغلاق الفكـــري، مؤكدًا أن الحقيقـــة لا تُنال إلا بالبرهـــان والدليل.

منهجه العلمي في النظر والتفكير:

يمتاز منهـــج الإمام عـــلي عليه السلام في التفكير العلمي بخصائـــص دقيقة يمكـــن أن نعدّهـــا ملامح لمنهج فلســـفي متكامل ســـبق عصره بقرون فهـــو يقوم على مـــا يـــأتي:

أولاً: الملاحظـــة والتأمل في الكـــون، إذ نجد في دســـتوره (نهـــج البلاغة) إشـــارات علميـــة دقيقة تصف حركـــة الأفلاك، وتكـــوّن الكائنات، وارتباط الظواهر بعضهـــا ببعض، ما يدل عـــلى عقل متفكر يســـعى إلى اكتشـــاف القوانين الكونيـــة، إذ جاء في قوله عليه السلام: ((أنشـــأ الخلق إنشـــاءً، وابتـــدأه ابتداءً

كان الإمام علي عليه السلام يرى أن من واجب الحاكم والعالم أن يقيم أحكامه على المعرفة والبرهان لا على الهوى أو العصبية.

بلا رويــة أجالها ولا تجربــة اســتفادها))[3]، وهو تصريح بفهم فلســفي عميق لمبدأ الخلــق من العدم وارتباط المســبّبات بالمسبّب الأول.

ثانيًا: اعتــماد الإمام علي عليه السلام التحليــل المنطقي والاســتنتاج العقلي في تفســير الظواهر والأحداث، ســواء أكانت طبيعيــة أم اجتماعية أم سياســية، إذ كان عليه السلام يــرى أن لــكل أمر ســببًا، ولــكل نتيجة مقدمــات، وأن البحــث في العلل هــو طريق العلم والمعرفــة ويقول عليه السلام بهــذا الصــدد: ((العلم نقطة كثرهــا الجاهلــون))[4]، وهذه إشــارة رمزية إلى أن جوهر العلم بســيط في أصلــه، لكنه يتعقّد بســوء الفهم وتعــدد التأويلات.

العلم والإيمان:

إن العلاقــة بين العلــم والإيــمان في فكر أمير المؤمنــين عليه السلام لا تعــارض بينهما، بل همــا طريقان متكامــلان لمعرفــة الحــق، فالعلــم عنــد أمير المؤمنين عليه السلام هو وســيلة لفهم ســنن الله في الكون، والإيــمان هو الضمان الأخلاقي لاســتخدام العلم في الخــير والإصلاح.

ومن هــذا المنطلق دعــا عليه السلام إلى طلــب العلم بوصفــه عبادة، فقــال: ((قيمــة كل امــرئ ما يُحســن))[5]، إذ أكــد عليه السلام أن العــالِم هو مــن أحيا بعلمــه قلوبًــا ميتة، وأنــار بنوره عقــولًا مظلمة.

واجبات ضرورية:

كان الإمــام علي عليه السلام يرى أن مــن واجب الحاكم والعــالم أن يقيــم أحكامه على المعرفــة والبرهان لا على الهــوى أو العصبيــة، وقد تجلّى هــذا المنهج في رســالته عليه السلام إلى مالك الأشــتر حــين ولّاه مصر، إذ وضــع له دســتورًا إداريًــا قائمًا على المشــورة، ودراســة أحوال الناس، والعــدل في القرارات، وهو مــا يمكن أن نعــدّه تطبيقًا للعقــل العملي في الحكم والإدارة.

إن تلــك الرســالة تمثّل في جوهرها مدرســة في التفكــير العلمي الأخلاقــي، تجمع بــين التجربة والرحمــة والملاحظة الدقيقــة للواقع.

آخر المطاف:

لقد أسّــس الإمام عــلي عليه السلام من خــلال فكره وســيرته أنموذجًا فريــدًا للعقل الإيــماني المتزن، الــذي لا يكتفي بالتأمل النظري، بــل يوظف العقل في خدمة الحــق والإنســان، وإن منهجه عليه السلام العقلي في التفكــير العلمي يُعــدّ من أوائــل المحاولات في الفكر الإســلامي لربط المعرفة بالمســؤولية، والعقل بالأخلاق، والبرهــان بالعمل.

ومن يقــرأ تراثه يــدرك أن الإمــام عليًا عليه السلام لم يكن فيلســوفًا بالمفهــوم المدرسي، بــل كان عقلًا كونيًــا ناطقًــا بالحكمة، ســبق العصــور في رؤيته الكلية للعلــم والإنســان والوجود.

١- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٠٣٨.
٢- محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية: ٩٢.
٣- نهج البلاغة: ١/ ١٦.
٤- محمد الريشهري، العلمة والحكمة في الكتاب والسنة: ٢٩.
٥- نهج البلاغة: ٤/ ١٨.



علي عليه السلام أمير المؤمنين

لقب (أمير المؤمنين) أطلق على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان هو أول من لقّب به، وقد حدث ذلك في عهد النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله إذ صرح بذلك على لسانه الشريف في مواطن عدة نذكر منها الآتي:

ما روي عن أنس أنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثمَّ قام فصلَّى ركعتين، ثمَّ قال: يا أنس، أوَّل من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيِّد المسلمين، وقائد الغر المحجَّلين، وخاتم الوصيين، قال أنس: قلتُ: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته، إذ جاء عليٌّ، فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: عليٌّ، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه، قال علي: يا رسول الله، لقد رأيتك صنعت شيئًا ما صنعت بي من قبل؟ قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي))[1].

وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليٍّ عليه السلام أنه قال: ((قال النبي صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى وقفت بين يدي ربي عز وجل فقال لي: يا محمد، فقلت: لبيك ربي وسعديك، قال: قد بلوت خلقي فأيهم وجدت أطوع لك؟ قلت: ربي عليًا، قال، صدقت يا محمد، فهل اخترت لنفسك خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟

قال: قلت: لا فاختر لي، فإن خيرتك خير لي، قال: لقد اخترت لك عليًا فاتخذه لنفسك خليفة ووصيًا، قد نحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين عليه السلام حقًا، لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده، يا محمد علي رأيه الهدى، وإمام من أطاعني، ونور أوليائي، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشره بذلك يا محمد[2].

وروي عن ابن عبَّاس أنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته، فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام الغداة، وكان يحب أنْ لا يسبقه إليه أحد، فدخل وإذا النبي في صحن الدار، وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال: السلام عليك، كيف أصبح رسول الله؟

قال: بخير يا أخا رسول الله، قال له علي: جزاك الله عنَّا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إني أُحبك، وإنَّ لك عندي مدحة أزفُّها إليك: أنت أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجَّلين...))[3].

وروي عن ابن عبَّاس أيضًا أنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق بشيراً ما استقرَّ الكرسي والعرش، ولا دار الفلك، ولا قامت السماوات والأرض إلَّا بأنْ يُكتب عليها: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين، وأنَّ الله تعالى لما عرج بي إلى السماء اختصني باللطف بذاته، قال: يا محمَّد، قلتُ: لبيك ربي وسعديك، فقال: أنا المحمود وأنت محمَّد شققت اسمك من اسمي وفضلتك على جميع بريتي، فانصب أخاك علياً علماً لعبادي يهديهم إلى ديني، يا محمَّد إني قد جعلتُ علياً أمير المؤمنين))[4].

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء: ١/ ٦٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٣٦/ ١٦٠.
(٣) الموفق الخوارزمي، المناقب: ٣٢٢.
(٤) محمد القمي، مائة منقبة: ٤٩-٥٠.

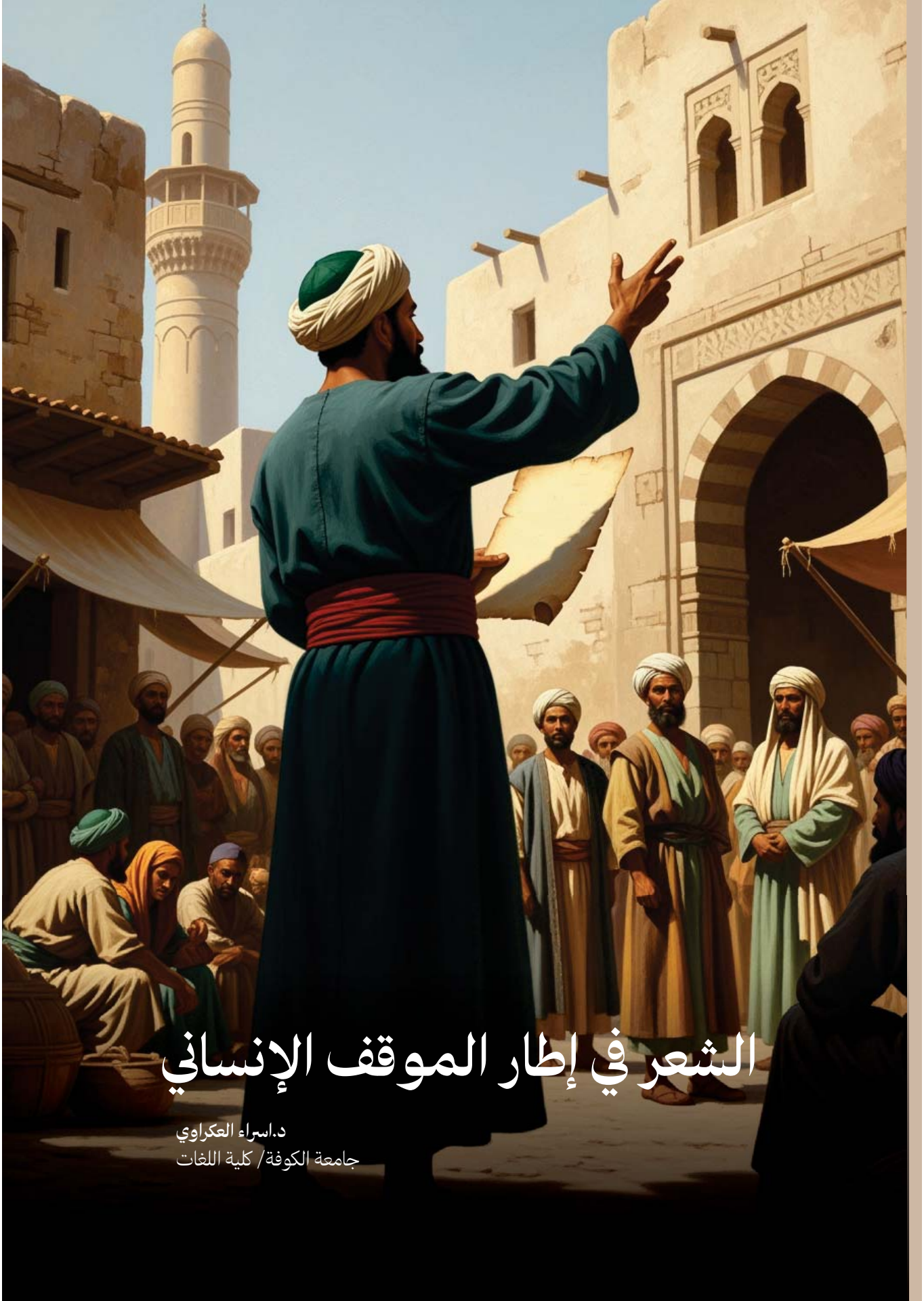

صلی اللہ علیہ وسلم
اصحاب النبی



لسان الأمـة

- الشِعر في إطار الموقف الإنساني

د.اسراء العكراوي
جامعة الكوفة/ كلية اللغات



الشعر في إطار الموقف الإنساني

د.اسراء العكراوي
جامعة الكوفة/ كلية اللغات

الشـــعر شـــكل من أشـــكال التعبير الفني للإنســـان، وبه يحقق الشـــاعر أغراضه الوجدانية والنفســـية والمادية أحيانًا، لـــذا نجد موضوعات الشـــعر متعددة ومتنوعة، فقد طرق الشعراء كل بـــاب من الوصـــف إلى المدح والغـــزل والهجاء والرثـــاء وغيرهـــا، ومع تماس هـــذه الأغراض مع ذات الشـــاعر، والقيم الاجتماعية للمجتمع، وكونـــه لســـان القبيلـــة أو البلـــد إلا أن تقدير القيمـــة الاجتماعية للعمل الشـــعري لم يشـــغل بـــال احد من النقـــاد العرب القدامـــى، فتفكير الناس في الشعر ســـواء في ذات النقاد أم الشعراء أنفســـهم لم يبرز فكرة القيمـــة الاجتماعية للعمل الشـــعري، فلم يكن موقف الشـــاعر من الحياة ووجهة نظـــره فيما يعيشـــه الناس مـــن قضايا موضعَ نظرٍ وتفهـــم وتقدير.

القيم الجمالية والمعنوية:

كانـــت القيـــم الجمالية هـــي شـــغل النقاد الشـــاغل، فكانوا يحاســـبون الشـــعراء عليها، متتبعـــين في ذلـــك مواطن إجادتهـــم، ومحصين عليهم أخطاءهـــم وعيوبهم، فإذا هـــم تجاوزوا القيـــم الجماليـــة إلى القيم المعنويـــة كان موقفهم من المعـــاني انعكاسًـــا لموقفهم الجـــمالي، كذلك كانوا يحاســـبون الشـــاعر على صحـــة المعنى في ذاتـــه أو خطئـــه، وعلى مـــا فيه من ابتـــكار أو ما فيه مـــن اقتفاء لمعنى ســـابق أو تأثـــر به، ثم يَزِنُـــون المعنى أخيراً في حدود العُـــرف والتقاليدِ وقـــد لا يفعلون.

ودليلنـــا على هذا الـــرأي مـــا ورد في كتاب الشـــعر والشـــعراء لابن قتيبـــة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الذي قسّـــم فيه الشـــعر عـــلى أربعة أقســـام[1]، حيث قال:

تدبّرتُ الشعرَ فوجدتُهُ أربعة أضرب:

الأول: ضربٌ منه حَسُـــنَ لفظُهُ وجادَ معناه؛ كقـول أبي ذؤيـب:

والنفـــس راغبـــةٌ إذا رغَّبتهـــا
وإذا تُـــردُّ إلى قليـــلٍ تقنـــعُ

والضرب الثاني: ما حَسُـــنَ لفظُـــهُ وحلا فإذا أنتَ فتَّشـــتَهُ لم تجدْ هناك فائـــدة في المعنى، كقول القائـــل:

ولما قضينـــا مـــن مِنى كلُّ حاجـةٍ
ومسَّحَ بالأركـانِ من هـوَ ماسـحُ

وشُدّتْ على حُدْبِ المهارى رِحالُنا
ولا ينظرُ الغـــادي الذي هوَ رائحُ

أخذنا بأطـرافِ الأحاديـــثِ بينَنا
وسالـتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطـحُ

والضرب الثالـــث: ما جاد معنـــاه وقَصُرت ألفاظه عنـــه، كقول لبيد بـــن ربيعة:

ما عاتبَ المرءُ الكريمُ كنفسِهِ
والمرءُ يُصلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

هـــذا وإنْ كانَ جيـــدَ المعنى والســـبكِ، فإنَّهُ قليلُ المـــاءِ والـرَّونق.

والضرب الرابـــع: هو ما تأخرَ معنـــاهُ وتأخرَ

لفظهُ، كقول الأعشى في امرأة:

وفوهاً كأقاحي غذاهُ دائمُ الهطلِ
كما شيبَ براحٍ باردٍ من عسلِ النحلِ

والملاحظ أن هذه الأقسام الأربعة تدورُ كلُّها حولَ النصِ الشعريِّ مبناه ومعناه، وجماله وفنياته، ولا أثر فيه للقيمة الاجتماعية أو الأخلاقية، فالشاعر لا يلام على أي موضوعٍ طرَق، ولا أيِّ قيمةٍ انتهكَ، ما دامَ يُلبِسُها ثوباً جميلاً، ويُحسنُ سبكَ أبياتِهِ ونظمَ قوافيه.

بل يعطفُ ابنُ قتيبةٍ على هذا التقسيم بذكرِ الدواعي التي تحثُّ الشاعرَ على كتابة الشعر فيقول[٢]:

"وللشعرِ دواعٍ تحثُّ البطيءَ، وتبعثُ المتكلِّفَ منها: الطَمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرَب، ومنها الغضب"

وإذا قِسنا هذه الدواعي بمقياسِ القِوى النفسيةِ للإنسان، التي قالَ بها الفلاسفةُ، وهي قوى أربع: قوة عقلية ملكية، وقوة غضبية سبعية، وقوة شهوية بهيمية، وقوة وهمية شيطانية لوجدنا أن دواعي الشعر التي قال بها ابن قتيبة تصدر عن (الغضبِ والشهوة والوهم) بعيداً عن العقل!!

وتكاد هذه النظرة تكونُ عامةً لدى نقاد الشعر القدماء، وكثير من النقاد في العصر الحديث، مع أننا نجد في تاريخ الأدب كثيرًا من الشعر الذي قيل بدوافع إنسانية أخلاقية، وسنضرب لذلك أمثلة في ما بعد.

من النقاد العرب الذين اهتموا بنظرية الالتزام وألفوا فيها الدكتور عز الدين إسماعيل، ونشأت فكرة الالتزام نتيجة لارتباط الأديب بمشكلات الحياة الواقعية، وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء تلك المشكلات

موقف النقد الحديث من الشعر:

ربما كانت أول عبارة في تاريخ التفكير النظري في الشعر، أحكمتْ الربط بين الأدب والحياة هي عبارة الشاعر الانكليزي المشهور (كولرج) التي يقرر فيها أنَّ الأدبَ (نقدٌ للحياة)، وتمثل هذه الفكرة نقطة تحول في تاريخ النظر النقدي وفلسفة الفن بصورة عامة، إذ أصبحَ المعيار الأخلاقي (أي تقدير العمل الفني من وجهة نظر العرف والتقاليد)[٣]، ملازماً للمعيار الجمالي الصرف، وصار ينظر إلى العمل الفني من حيث هو مشاركة صميمة في واقع الحياة، ومحاولة لاتخاذ موقف منها .

من هنا بدأت فكرة (الالتزام) التي صار لها في القرن العشرين تأثيرٌ ملحوظ في حياة الأدب.

والالتزام هو: اتجاه ينبع من حرية الفنان،

مواقف الشعراء عرَّضتْ كثيرًا منهم للقتل والنفي والهرب والإقصاء، كما جعلتهم شريكًا أساساً وشاهداً على ما يجري على الأمم من حروب وثورات وظلم وانتصارات، حتى صار عندنا شعر خاص بالقضية الفلسطينية مثلًا، وشعر خاص بمجاهدي فتوى الجهاد الكفائي في العراق، وشعرٌ وثّق ثورات الشعوب ضد الحكومات المستبدة..

إذ يختار ذلك المسلك بملءِ إرادته، تدفعُهُ إليهِ رغبتُهُ، فهو التعبيرُ عن حريةِ الفنان[٤].

أما الإلزام فهو موقفٌ سياسيٌّ أو اجتماعيٌّ تتخذهُ طبقةٌ أو حزبٌ، ثم تفرضُهُ على من هو تحت سيطرتها، فإن كان الفنان في هذه الحالة يعملُ بدافعٍ من قناعتهِ بذلكَ الموقف فهو "ملتزم" وإن كانَ يعمل تحت عامل القهر والإكراه فهو "ملزَم".

ومن النقاد العرب الذين اهتموا بنظرية الالتزام وألفوا فيها الدكتور عز الدين إسماعيل، ونشأت فكرة الالتزام نتيجة لارتباط الأديب بمشكلات الحياة الواقعية، وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء تلك المشكلات، فالأديب والشاعر حين يكون صاحب رسالة قيمية سيتجسد ذلك في شعره، وفي تاريخ الأدب شواهد كثيرة على ما نقول منها:

١- موقف الفرزدق حين قال أحد الذين كانوا مع هشام بن عبد الملك في موسم الحج وشاهد الناس وقد أفسحوا للإمام زين العابدين عليه السلام ليستلم الحجر الأسود: من هذا الذي وسّع له الناس وتحاجزوا عنه؟، فقال هشام بن عبد الملك: لا أعرفه، على الرغم من معرفته أنّه زين العابدين عليه السلام، ولكنّه لم يرد أن يعظمه في قلوب أصحابه، وكان الفرزدق منهم، فقال: ولكن أنا أعرفه، وأنشد يقول:

يَا سَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الجُودُ وَالكَرَمُ
عِنْدِي بَيَانٌ إذَا طُلَّابُهُ قَدِمُوا

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ
وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ[٥]

وهذا موقف اندفع إليه الفرزدق بنفسه، غير آبه بالعواقب ولا طامعاً في عطاء، بل دعته إليه عقيدتُه وحميَّتُه. والطريف أن بعض كتب الأدب وسير الشعراء حين تذكر الفرزدق تصفه بعدة أوصافٍ ذميمة منها الجبن، ولا أظن أن هذا الموقف يصدرُ من رجلٍ جبان.

٢- وللشاعر دعبل الخزاعي مواقف كثيرة في هجاء ملوك بني العباس[٦]، وهو القائل: (أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجدُ أحداً يصلبني عليها)، ومن ذلك قوله في هجاء المعتصم:

مُلوكُ بَني العَبّاسِ في الكُتبِ سَبعَةٌ
وَلَم تَأتِنا عَن ثامِنٍ لَهُمُ كُتُبُ

كَذَلِكَ أَهلُ الكَهفِ في الكَهفِ سَبعَةٌ
خِيارٌ إِذا عُدّوا وَثامِنُهُم كَلبُ
وَإِنّي لَأُعلي كَلبَهُم عَنكَ رِفعَةً
لِأَنَّكَ ذو ذَنبٍ وَلَيسَ لَهُ ذَنبُ

وشعرٌ وثّق ثورات الشعوب ضد الحكومات المستبدة، وهي قصائدُ تنبعُ من القيمِ الإنسانيةِ والعقيديةِ التي يحملها الشاعر، وشعورهُ بأنَّهُ يحملُ رسالة، تسهمُ في خلق جيل متسلح بالقيم النبيلة، يشعر بمسؤوليته تجاه قضايا دينه ووطنه وأمته.

وحين مات المعتصم وخلفه الواثق قال دعبل:

الحمد لله لا صبر ولا جلد
ولا عزاءٌ إذا أهل البلا رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد
وآخر قام لم يفرح به أحد

وفي هذه المواقف فرق واضح بينها وبين قول أبي العتاهية(مثلا) للمهدي العباسي يهنئُه بتسلم زمام السلطة والخلافة بعد المنصور حيث يقول[٧]:

أَتَتهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً إِلَيهِ تُجَرِّرُ أَذيالَها
وَلَم تَكُ تَصلُحُ إِلّا لَهُ وَلَم يَكُ يَصلُحُ إِلّا لَها
وَلَو رامَها أَحَدٌ غَيرُهُ لَزُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزالَها

ومواقف الشعراء عرَّضتْ كثيرًا منهم للقتل والنفي والهرب والإقصاء، كما جعلتهم شريكًا أساساً وشاهداً على ما يجري على الأمم من حروب وثورات وظلم وانتصارات، حتى صار عندنا شعر خاص بالقضية الفلسطينية مثلًا، وشعر خاص بمجاهدي فتوى الجهاد الكفائي في العراق،

١. ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء:٢٤ وما بعدها.
٢. المصدر السابق :٣٤.
٣. د. محمد مصطفى بدوي، كولردج (سلسلة نوابغ الفكر الغربي):٧٨.
٤. أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي : ١٤.
٥. ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٤/ ٩٥.
٦. عبد الصاحب الدجيلي، ديوان دعبل الخزاعي
٧. ابن كثير، لبداية والنهاية:١٨٢.

الذكر النبوي في بلاغة الخطبة الفدكية

ذكرت البتول عليها السلام أباها النبي العظيم صلى الله عليه وآله مرتين في خطابها الحجاجي أمام المسلمين وكبار الصحابة، ورسمته مثالًا حيًا، وفصّلت فيه الكلام تفصيلًا بالغ الأثر في الأداء والإحاطة بالمعنى.

د. عباس علي الفحام
جامعة الكوفة

الذكر الأول:

قالت عليها السلام في الموضع الأول من ذكر أبيها صلى الله عليه وآله: ((وأشهد أن أبي محمدًا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة .. ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلّى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار))[1]، ويمكن الوقوف على تفاصيل هذا المثال الإلهي ببيان الحقائق الآتية:

– إن فاطمة عليها السلام تحدثت عن فكر بعيد المدى، شمل أصل ابتعاث النبي صلى الله عليه وآله، من أجل هداية الناس إلى عبادة الواحد الأحد، فذكرت صفات أبيها من القرآن الكريم (المختار والمجتبى والمصطفى)، وهو فكر عظيم يتعالى على ضيق الأفق المتمثل بالإرث المادي إلى التبصر في عواقب فداحة التمادي على بيت النبوة وانتهاك حرمته.

– إن فضل النبي محمد صلى الله عليه وآله لا يمكن جحده في لمّ شتات الناس على وحدانية الله تعالى عامة، وانتشال العرب خاصة من حفرة النار التي كانوا على شفيرها.

– إنّ في التخصيص الذي تكرر ثلاث مرات في لفظ (أبي): الأول في الشهادة، والثاني في قولها: (فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها)، والثالث: في الصلاة عليه، شعورًا بالغبن والجحد والظلم الذي وقع على البيت العلوي بالتعدي عليه وحرمانه من حقوقه المشروعة، وهو بعد فيه تعريض بالمجترئين لا يخفى على لبيب.

– في صورة رحيل النبي صلى الله عليه وآله تفصيل روحي ابتعد فيه عن ذكر الضيق المادي إلى أفق رحب علق عليه السيد محمد باقر الصدر قدس سره بقوله: "تركت النعيم المادي كله، لأنها رأت في معاني أبيها العظيم ما يرتفع عن ذلك كله، وما قيمة اللذة المادية في حساب محمد الروحي، الذي لم يرتفع أحد بالروح الإنسانية كما ارتفع بها"[2]، وهكذا حين يكون رحيل العظماء غير عابئين بالدنيا منشدين إلى ذات الله تعالى، يكون الموت عندها راحة حقيقية لهم من تعب الحياة، لذا يرحبون مستبشرين بالموت إذا حلّ بهم.

الذكر الثاني:

أما الموضع الثاني من خطاب الزهراء عليها السلام ففي قولها، وقد تعمدت ذكره ثانية فقالت: ((أيها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقول عودًا وبدوًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا،

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه ﷺ، فبلغ الرسالة صادعًا بالنذارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذًا بأكظامهم، داعيًا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق[٤]. الشياطين وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ)[٤].

ويبدو من سياق الخطبة أنّ الموقف البياني قد دعا إلى ذكر النبي ﷺ ثانية من أجل التخصيص في الكلام، وذكر فضله على العرب والقوم الذين تحاججهم الزهراء عليها السلام، فالصورة الأولى صورة استراتيجية لبعث النبي ﷺ، لذا ذكرت فيها ألفاظًا عامة وعالمية مثل (الأمم، الفرق، الخلائق)، وهو بعد خطاب عام غير موجه نحو أحد توجيها مباشرًا، كما هي الحال في رسم هذه الصورة الثانية، فكان سياق الحال من الذكر ثانية هو الوصول إلى الخطاب المباشر وتنبيههم بفداحة ما يصنعون مع الزهراء عليها السلام، لذلك حمل الكلام كثيرًا من ضمائر التكلم وضمائر الخطاب، فضلًا عن أن في اقتباس الآية الشريفة دلالة واضحة على هذا التخصيص في الكلام.

وفي هذه الصورة تفاصيل دقيقة لصورة العرب قبل الرسالة المحمدية، غايتها التذكير والتنبيه بفضل هذه الشخصية الإلهية، وهي صور متلاحقة متتالية في رسم حالة الوهن والهزال التي وصلوا إليها قبل البعثة بأداء فني رفيع اتخذ من توازن الفقرات ورعاية نهاياتها السجعية، ودقة في انتقاء المفردات أداء بلاغيا امتزجت فيه الدلالة بالإيقاع امتزاجًا فريدًا، وقد كان الاستحضار القرآني دقيقًا في مناسبة المقام فهم (مذقة الشارب) والمذقة الشربة من اللبن الممزوج بالماء، وهم (نُهزة الطامع) والنهزة بضم النون هي الفرصة الممنوحة للاغتنام، وهم (قبسة العجلان) الذي يأخذ من جذوتهم ليشعل لنفسه على عجل، وهذه الكنايات التي ترمي إلى تبيان معانٍ أبعد من صورتها الحقيقية كمعاني التشرذم والتناحر والاقتتال الداخلي جعلتهم محل أطماع الآخرين وفرصًا سهلة الاغتنام، فهم ضعفاء أمام ما جاورهم من جيوش الأمم، فلم تحسب لهم يوما حسابا يذكر بل كانوا موطئ الأقدام لا مَنَعة لهم ولا عزة يشربون الطرق ويقتاتون الورق، والطرق هو الماء الذي بالت فيه الدواب فاصفر لونه، أما الورق فهو الأدم الرقاق من الجلد غير المدبوغ، لذلك أردفت بقولها (أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم)، لأن من كان ذاك طعامه وشرابه لا شك في أنه يخشى سطوة الجار الشديد الظالم، ولا ريب في أن وقع هذه المعاني ثقيل على السامعين، لكن مطابقتها لمقتضى حالهم سوّغ ذلك؛ لأن الزهراء عليها السلام خاطبت قومًا أصبحوا أسيادًا بعد ذلك الذل، بفضل أبيها ﷺ.

١- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ١٣١.
٢- فدك في التاريخ: ١٢٣.
٣- الشقاشق: الشقشقة لهاة البعير، والوشيظ: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم، وقيل هو الدخيل من القوم، والخماص: خماص البطون، وخفاف الظهر: أي أعفة عن أموال الناس. ينظر: لسان العرب: شقق، وشظ، خمص.
٤- الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ١٣٢.

قُرَّة الأَعين

- **المنهج التربوي للصديقة الزهراء عليها السلام ... هو الحل الأمثل**

أ.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة - كلية الآداب

- **بين الباب والجدار اللحظات الأخيرة في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام**

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار

المنــهج التربــويّ للصديــقــة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ... هو الحل الأمثل

أ.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة - كلية الآداب





عندما وصف الباري عزّ وجل أزواج النبي، بأنهنَّ أمّهات المؤمنين، صار يخطر في بالهنَّ أنّهنَّ أفضل من كلّ النساء، حتى من الصديقة فاطمة عليها السلام؛ ولأجل ذلك كنّاها أبوها المصطفى بأم أبيها، بمعنى أنّ فاطمة عليها السلام أفضل من نساء النبي صلى الله عليه وآله؛ لذا كانت تسعى في حاجاته على الدوام، فمتى احتاج الرسول إلى أيّ شيء، من طعام ومداواة جروح وإزالة همّ، وجد الزهراء حاضرة بين يديه تلبيه من دون أن يطلب.

الزهراء المرأة المثالية:

كثيرون الذين قالوا في وصف الزهراء عليها السلام، ومن ذلك السيد محمد كاظم القزويني في قوله: ((فاطمة، وما أدراك من فاطمة؟ شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة، لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً صلى الله عليه وآله ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوق أنثى، تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء عليها السلام أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة، بحيث لا يمكن لأية أنثى أن تبلغ تلك المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله، الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، منذ نزولها الى يومنا هذا، والى أن تقوم القيامة))[1].

وسنحاول تسليط الضوء على الأدوار الثلاثة للسيدة الزهراء عليها السلام بما ينسجم مع ما تمارسه المرأة من أفعال وسلوكيات في ظل العولمة والغزو الثقافي، الذي تمارسه قوى الاستكبار العالمي، وكالآتي:

دورها بوصفها ابنة: بعد أن توفي أبناء الرسول صلى الله عليه وآله الطاهر، والقاسم، وإبراهيم في مكة واحداً تلو الآخر شمت الشامتون برسول الله صلى الله عليه وآله، ووصفوه بالأبتر الذي لا ذرية له فأنزل الله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾[الكوثر: ١-٣]، ومصداق الكوثر يمثل أشياء عدة أبرزها الوجود المقدس للصديقة الزهراء عليها السلام التي جعلها الله خلفاً مادياً ومعنوياً للرسول صلى الله عليه وآله فكانت سبباً لتخليد أبيها وذكره ونهجه ومعارفه بشكل لم يشهد له نظير لدى أي ولد بارز عظيم فمن ذريتها برز أحد عشر إماماً وكوكباً أحيوا الإسلام، وبيّنوا معارف القرآن ونشروا المعارف الإلهية، وأزالوا التحريف عنها[2]، وبعد وفاة السيدة خديجة وأبي طالب عليهما السلام مارست السيدة الزهراء عليها السلام دور المساند والمعين لأبيها، الذي فقد العم المدافع والزوجة المخلصة، فكانت بحق أم أبيها: ((إنّها كنية ما أجلّها وأعظمها! فهي تعبّر عن عمق الارتباط الروحيّ بين المانح العظيم المقدّس، والممنوحة الطاهرة المطهّرة بحكم التنزيه عن كلّ رجس ودنس، هذه الكنية هتاف ملأ الكون بصداه، ونداء لكلِّ جيل يتدبّر معناه، وتنبيه للأمّة بما ينبغي لها من توقير البتول، وحفظ مقامها الشامخ في قلب الرسول))[3]، فهي لم تكن تتعامل معه تعامل المعظِّم للعظيم بعيدًا عن المشاعر، بل كان الحبّ هو الحاكم الثاني على تلك العلاقة، إذ نجد تعلّقًا فريدًا من الزهراء بأبيها، واهتمامًا لا مثيل له، وكانت تسعى في حاجاته على

الدوام، فمتى احتاج الرسول إلى أيِّ شيء من طعام ومداواة جروح وإزالة همّ، وجدها حاضرة بين يديه، تلبيه من دون أن يطلب[٤]؛ ولذلك كانت فاطمة في تلك الظروف بمثابة الأم والمستشار والممرضة بالنسبة للرسول ، على الرغم من كونها صبيّة عمرها ستّ سنوات أو سبع سنوات، على هذا النحو، فتكون على هذه الدرجة من الشعور بالمسؤوليّة، وتكون قدوة للفتيات ليصبح لديهنّ شعور مبكّر بالمسؤوليّة إزاء القضايا المحيطة بهنّ، ويتفاعلن معها بنشاط، كان وجه فاطمة ينشرح بوجه أبيها وتنشط قواها وهي تزيل بمنديل العطف والحنان غبار الهمّ والحزن عن وجه أبيها، الذي كان قد تجاوز حينذاك الخمسين من عمره الشريف، قبل أن تزيله بيدها[٥].

وعند التأمل في حياة الصديقة الزهراء عليها السلام في ظل أبيها الرسول محمد صلى الله عليه وآله نجد معاني عدة في كنية (أم أبيها)، منها أنها كانت تقوم بمداراة أبيها ورعايته بأكمل ما يكون، وفي قبال ذلك كان أبوها يحترمها ويجلّها فعندما تقبل عليه يقول: مرحبا بأم أبيها، ويأخذ بيدها ويقبّلها ويجلسها مجلسه، فضلاً عن أنّ سرور الرسول بفاطمة لا يعادله سرور وفرح، فكان يأنس بوجودها كثيرًا، فكانت آخر من يودّعه إذا أراد الخروج في سفر، وأول شخص يقبل عليه إذا عاد، على أنّ صفة (أم أبيها) صفة عذبة، تعدّ من أفضل ما تفوهت به حنجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي على الرغم من أنها صغيرة لكنها في الوقت نفسه مملوءة بالحب والأمل والعطف، وكل ما في القلب البشري من الرقة والعذوبة[٦].

وعندما وصف الباري عزّ وجل أزواج النبي بكونهن أمهات المؤمنين، صار يخطر في بال بعضهن أنهن أفضل من كل النساء حتى من الصديقة فاطمة عليها السلام؛ ولأجل ذلك كنّاها أبوها المصطفى بأم أبيها بمعنى أن فاطمة عليها السلام أفضل من نساء النبي صلى الله عليه وآله[٧]، لذا كانت تسعى في حاجاته على الدوام، فمتى احتاج الرسول إلى أيِّ شيء من طعام ومداواة جروح وإزالة همّ وجد الزهراء حاضرة بين يديه، تلبيه من دون أن يطلب[٨].

وقد أولى الإسلام عناية كبيرة بالبنت وكرّمها حالها حال الرجل، قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء:٧٠]، وعاب على الجاهليين قتلهم البنات، وسمّاها (وأد البنات)، قال تعالى ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨-٩]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعم يسأل عنها))[٩] فالدين الإسلامي منظومة متكاملة من القيم المثلى، التي أوحى الله بها الى البشرية، لتسعد في الدنيا والآخرة، فهي تتكامل عبر هذه القيم.

دورها بوصفها زوجة وأما: لما أحسّ صحابة الرسول صلى الله عليه وآله بقيمة فاطمة لدى أبيها فتباروا لخطبتها منه طلباً للشرف ورغبة في الكرامة وحرصاً على التقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لا بد لكبار قريش أن يتقدموا لطلبها من أبيها وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وغيرهما[١٠]، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعرض بوجهه عنهم، بعد أن يتصل بفاطمة عليها السلام نفسها فتظهر عدم رغبتها ورفضها لفكرة الزواج من هؤلاء، والرسول صلى الله عليه وآله حين يفاتحها بهكذا موضوع هو يعلم من يكون لها كفؤا لكن الشرع يفرض على الأب ألّا يبتَّ في موضوع زواج البنات والأولاد من دون الاطلاع على مدى رغبتهم، ويستمر الرسول صلى الله عليه وآله بهذا النهج حتى يأتيه النداء الإلهي قال: ((أتاني ملك

فقال: يا رسول الله، إن الله - تبارك وتعالى - يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني (قد) زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوجها منه في الأرض))[11].

وفي مهر الزهراء عليها السلام درس تربوي لنا جميعًا، فقد زوّج المصطفى أحب الخلق إليه وبضعته الطاهرة بمهر متواضع، كي يُفهم الأمة أن المهور العالية ليست في صالحها؛ لما تسببه من تعكير لصفو الحياة الزوجية وزلزلة الوضع الاقتصادي للأسرة، فضلاً عما تؤدي إليه من عزوف الشباب عن الزواج، وما يعقبه من مفاسد اجتماعية وأمراض روحية، ووجدت الزهراء نفسها، وهي في بيت زوجها أمام وظائف جسيمة ومسؤوليات عظيمة، فبوصفها القدوة الحسنة والأسوة المثلى للمرأة المسلمة، كان عليها أن ترسم الطريق لمعالم البيت الإسلامي الأمثل، وقد نجحت فضربت أفضل الأمثلة في طاعة الزوج، ومراعاة حقوقه، والإخلاص له، والصبر على شظف العيش وقلة ذات اليد، وفي القيام بمسؤوليات البيت، وأداء واجبات الأسرة، في جو من المودة والصفاء والتعاون والوفاء، وفي تربية الأولاد الصالحين كانت الزهراء عليها السلام نعم الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، لم تعص له أمراً، ولم تخالفه في شيء، ولم تخرج بغير إذنه، وكانت تعينه على طاعة الله، وتفضله على نفسها، تسرّه إذا نظر إليها فتُدخل عليه البهجة والسرور[12].

أمّا الأمومة فهي: ((من أهمّ محطات حياة الأنثى، وهو دور لا تستطيع القيام به إلّا بالحبّ والسرور، وهو ما نراه عند سيدتنا فاطمة عليها السلام، التي كانت مبتهجةً بأولادها، تظلّلهم بحبّها وحنانها))[13] فالأمومة كانت من الوظائف الحساسة والمهام الرئيسة التي ألقيت على عاتق السيدة الزهراء عليها السلام، وقد أنجبت خمسة أولاد الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم والمحسن الذي أُسقِط قبل ولادته، وقد قدّر الله عزّ وجل أن يكون نسل الرسول وذريته من فاطمة عليها السلام، بحسب ما أخبرنا بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: ((إنّ الله تعالى جعل ذرية كلّ نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب))[14].

ولأنّ التربية هي أعظم أدوار الأمّ وأهمّها على الإطلاق، فإنّ السيدة فاطمة عليها السلام قدّمت للبشريّة أولادًا صنعوا التاريخ، وتسلّموا زمام قيادة البشر، وإنّنا في هذا السياق نجد أنّ السيدة فاطمة عليها السلام تقدّم لنا أفضل قدوة وأعظم أنموذج فيما يخصّ تربية الأبناء.

دورها بوصفها امرأة: إذا تجاوزنا دور الزهراء عليها السلام في إدارة أعمال المنزل وتربية الأولاد إلى مساحات أوسع من ذلك، نرى أن سيدة النساء قد سجّلت عنوانات مهمة لدور المرأة المسلمة في مجمل النشاطات الفقهية والتربوية والاجتماعية والسياسية والحربية وغيرها، ممّا يتناسب مع واقع العصر وحاجاته وظروفه، فقد كانت تعلّم النساء ما يشكل عليهنَّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية[15]، فالإسلام ينظم الحياة في تناسق مميز، فيوجب المعاش على الرجل، ويعفو المرأة من العمل للتفرغ للبيت، حيث تعتني بواجبات الرجل، وفي الوقت نفسه لا يحرم العمل على المرأة طلباً للمزيد من المال أو كسب العيش، فهي حرة في ذلك[16]، وقد ضربت الزهراء عليها السلام أفضل الأمثلة في ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من حصانة وعفة، مع أدائها لدورها في داخل المنزل وخارجه على أتم وجه، فهي الأنموذج الأمثل الذي قدّمه الإسلام

للمرأة، فمن الحق أن يُقتدى بها في كلِّ ما أُثر عنها من مبادئ العفة والحجاب، فقد روي أنّ النبي عليه السلام قال لها: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: ((أن لا ترى رجلا، ولا يراها رجل. فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض))[١٧].

ويروى أنّ ((فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بضعة مني))[١٨].

ولم يمنع الحجاب الزهراء عليها السلام من أداء دورها الرسالي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية والسنة النبوية المطهرة واسترجاع حقها السليب، فقد وصفها الرواة لمّا بلغها أنّ أبا بكر قد أظهر منعها فدك: ((لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء من قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها مُلاءة، فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى سكنت فورتهم، افتتحت كلامها بحمد الله وأثنت عليه...))[١٩].

أما دورها التبليغي فقد تجسّد من طريقين: داخل البيت وخارجه، أمّا الأوّل فقد كانت السيدة الزهراء عليها السلام راوية لأحاديث أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، فكانت تدوّن ما تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، شأنها شأن أهل البيت عليهم السلام ولاسيما ما يذكره الرسول صلى الله عليه وآله من أمور في مجالسه ولقاءاته وشؤونه الخاصة، ولولا تدوينها وحفظها بوساطة أهل البيت عليهم السلام لحُرفت أو فقدت، فكانت فاطمة عليها السلام تدوّن ما تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي كان يزورها ويجلس إليها ويحدّثها بأحاديث كثيرة، لاسيّما التي تتحدث عن الأوضاع المستقبلية وما سيجري للمسلمين، وعن طريق هذا التدوين تكوّن لدينا الكتاب الموسوم (مصحف فاطمة)[٢٠].

وكذا امتازت بمعرفة الأحكام الشرعية وتفسير القرآن الكريم وكلُّ مفاهيم الإسلام، لقربها من أبيها بوصفه رسولاً ومبشراً وداعياً ونذيراً، فقد فسّر القرآن الكريم، وبيّن أحكام الشريعة بكل تفاصيلها وأبعادها، فلم يترك شيئاً خفياً أو محفوظاً عنده[٢١] فكانت مبلغة من الطراز الأول في تثقيف النساء ثقافة إسلامية صحيحة، وكانت تحرص كلّ الحرص على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها في أناء الليل وأطراف النهار، وتعلّمهم بذلك أنواع التبتل والتهجد، إذ يروي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت يا بني، الجار ثم الدار))[٢٢]، وفي رواية الحديث دلالة واضحة على الإيثار.

أما عن دورها التبليغي الثاني، أي دورها التبليغي خارج البيت فقد كان سياسياً عقدياً، وقد تمثّل بالخطبة السياسية العقدية التي سميت بالخطبة الفدكية، التي صدحت بها ليس فقط دفاعا عن قضية فدك، بل كانت دفاعاً عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وتُعدّ الخطبة الفدكيّة ((من أبرز محطّات تجلّيات علم السيدة فاطمة عليها السلام؛ لما حوته من مضمون لا يمكن أن يأتي به غير المعصوم الذي يتلقّى علومه من العلم المطلق،

فبيّنت أنّها عالمة بكلّ شيء، وفي مختلف الأبعاد، على مستوى معرفة الله عزّ وجلّ، والمعرفة التاريخيّة، والمعرفة الاجتماعيّة، والقراءة الدقيقة للواقع، والمعرفة بأسرار العديد من العبادات والفرائض وعللها؛ وذلك لتكون حجّتها تامّة كاملة على القوم، فضلا عن الأسلوب الذي خرّجت به علمها ذاك، وهو على درجة من الفصاحة والبلاغة التي لا نظير لها))[٢٣].

ومن المحاور التي عرّجت عليها السيدة الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية[٢٤]:

- عرّجت على مقام النبوّة، وعظيم صفات الرسول صلى الله عليه وآله، ومنزلته في عالم الآخرة، وركّزت في نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله.

- بيّنت جهاد النبيّ صلى الله عليه وآله، وما عاناه، وما وصل المسلمون إليه من فضلٍ بسبب أبيها، وبيّنت كيف كانت حال العرب قبل البعثة النبوية.

- بيّنت عظمة القرآن ودوره في الهداية لما استهدى به.

- بيّنت الحكمة من بعض العبادات والواجبات الشرعيّة.

- بيّنت بعض فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأنه الخليفة الشرعيّ للرسول صلى الله عليه وآله.

- فضحت المنافقين المتربّصين بأهل البيت عليهم السلام السوء، الذين أضمروا العداوة للرسول صلى الله عليه وآله، وانتهزوا الفرصة بعد وفاته.

- بيّنت مسألة فدك أمام الجميع، وعرضت أدلّتها وبيّنت حقّها في فدك، وفي صحّة وراثتها النبيّ صلى الله عليه وآله، والاحتجاج عليهم بكلام الله عزّ وجلّ.

- استنهضت المسلمين لنصرتها، وقرّعتهم على سكوتهم وخذلانهم، ولاسيما الأنصار.

الخاتمة

من منهج الزهراء التربوي ينبغي للبنت أن يكون سلوكها مع والديها سلوك المعظّم المحبّ، وتحافظ على مكانة والديها وعلاقتها المعنوية بهما على كلّ حال، وأن تكون كل واحدة منهنّ أمًّا عطوفاً عليهما، وتسعى في حوائجهما على الدوام، وتكون مكان أنس وسكن لأهلها، وتفضّل أهلها وحاجاتهم على نفسها، وتكون مدعاة لفخرهم بها، على البنات تقديم المعايير الأُخرويّة من دين وأخلاق وغيرهما، على المعايير الدنيويّة في طالب الزواج، وأن يبقى التهذيب والحياء والعفّة الحاكم على جميع تصرّفاتهن، وعبر كلّ ترتيبات الزواج، وأن يكون صداقهنّ متواضعًا، فليس قيمة الفتاة بثمن صداقها، وكذا أن يكون جهازهنّ متواضعًا، ويقتصر على متطلّبات الحياة، ولا حظّ فيه للكماليات، وأن يكنّ على وعي تامّ بطبيعة حياتهنّ المقبلة، ولاسيّما الوضع المادّيّ، فيُقبلن عليها بانشراح، وأن يبقى الله عزّ وجلّ حاضرًا دومًا في حياتهنّ ولا ينسينه، حتّى في أجمل اللحظات كليلة الزفاف، فيشكرنه على نعمه تلك، فيكون المنطلق الأساس الذي يحكم علاقة الرجل مع زوجته هو وجهة العلاقة مع الله عزّ وجلّ، وأنه آية من آيات الله في هذه الدنيا، وأن لا يدعن طريقًا لمنغّصات الحياة من الفقر وضيق الوضع الاقتصاديّ، واعتبارات أهل الدنيا إلى الحياة الزوجيّة، وأن تكون الزوجة سكنًا لزوجها على مختلف الصعد، الدنيويّة والنفسيّة والروحيّة، وأن تكون نِعمَ العونُ لزوجها على الدنيا، وعلى طاعة الله وأداء تكليفه، وأن تسرّه إذا نظر إليها، فتخفّف عنه التعب وتزيل همّه وغمّه، وأن تعتني بأمور زوجها و بنفسها ما يورث مزيد محبة وتوادّ، وتكون طيّبة المعشر، وتكرّس

الأمور التي تلطّف العلاقة بينهما، وأن تحاول جعل علاقتها بزوجها علاقة عميقة متينة مبنيّة على الثقة والمحبّة، فتعرف أحواله وتراعيها، ولا تطالب زوجها بأيّ أمر يفوق طاقته، وأن تكون مرهفة الحسّ، شديدة الحرص على عدم إحداث أيّ إزعاج لزوجها فضلًا عن أذيّته.

علينا العمل على تربية أولاد، يكونون صنّاع التاريخ ، وأن تكون التربية محاطة بالحبّ، مكلّلة بالفرح والسرور، وأن يشع الأطفال والمنزل بالحبّ، وتبيّن لهم محبّتهما من خلال سلوكيّاتهما معهم، وأن يحافظ الوالدان على مشاعر أطفالهما، وأن تحرص على أن لا يتأذّوا عاطفيًّا، وأن تقدّر إنجازات الأولاد وما يقومون به، وأن يبتعد عن التوجيه المباشر للأبناء في المسائل العباديّة، وأن تكون سلوكيّاتها قابلة لأنْ تمثّل مثالًا وقدوة صالحة للأولاد، وأن يكون مضمون التربية قائماً على القيم الحقّة، التي نادى بها الدين، كالعبادة والارتباط بالله والنظافة، وأن تكون قيمة الارتباط بالله هي سيدة القيم التي يربّى الأولاد عليها، وأن تكون لقيمة العبادة مكانةٌ مهمّة في حياتها، فتشكّل قيمة بارزة يمكن للأولاد أن يتبنّوها، وأن تشكّل النظافة قيمة مهمة وبارزة في حياة الأسرة، لتمثّل أرضيّة صالحة لتبنّيها في حياتهم.

إن التدبير المنزليّ في حقيقته هو تربية لأفراده، وأن يحتلّ التدبير والعمل المنزليّ عند الزوجة الموقع المناسب من الاهتمام، وأن تنظّم شؤون منزلها وتتولّى المهامّ التي تقدر على تنفيذها بما يعود بالخير على الأسرة جمعاء، وأن تحافظ على نظافة منزلها دوماً، وأن تقسّم أعمالها المنزليّة على الأيّام، فلا تشكّل تلك الأعمال الشغل الشاغل طَوال النهار، وأن تحرص على تعلّم الحِرَف التي تساعدها في إدارة شؤون منزلها، وتسهيل حياتها وحياة أسرتها، كالغزل والخياطة...وما إلى ذلك، وأن تقدّم المساعدة على الدوام لأفراد الأسرة متى استطاعت؛ في سبيل تأمين راحتهم.

أن يكون للممارسة العبادية أولويّة في حياة الزوجة، وتعتني بتفاصيل العبادة وتولي المستحبات اهتماماً لائقاً فلا تكتفي بالواجب، وأن تعتمد مبدأ الإيثار فتدعو لغيرها قبل دعائها لنفسها، وأن تحوّل تسبيح الزهراء إلى سلوك عمليّ للتذكّر الدائم لله، بشرط أن يكون التوازن قانوناً حاكماً في حياتها العباديّة، فلا تقع في التفريط أو الإفراط.

أن يكون لقيمة العلم والتعلّم أهميّة كبيرة ومكانة مهمّة في حياة الزوجة، وأن تسعى جاهدة للتعلّم دوماً، وتحافظ على ما تعلّمته، وأن تعتني بتزكية العلم من خلال إنفاقه، وتبيين معالم الدين الحنيف، وأن تكون حليمة في تقديم معارفها للآخرين، فهم باب مفتوح لها على رضا الله عزّ وجلّ، وأن تسعى لأنْ تطبّق ما تعلّمته في حياتها.

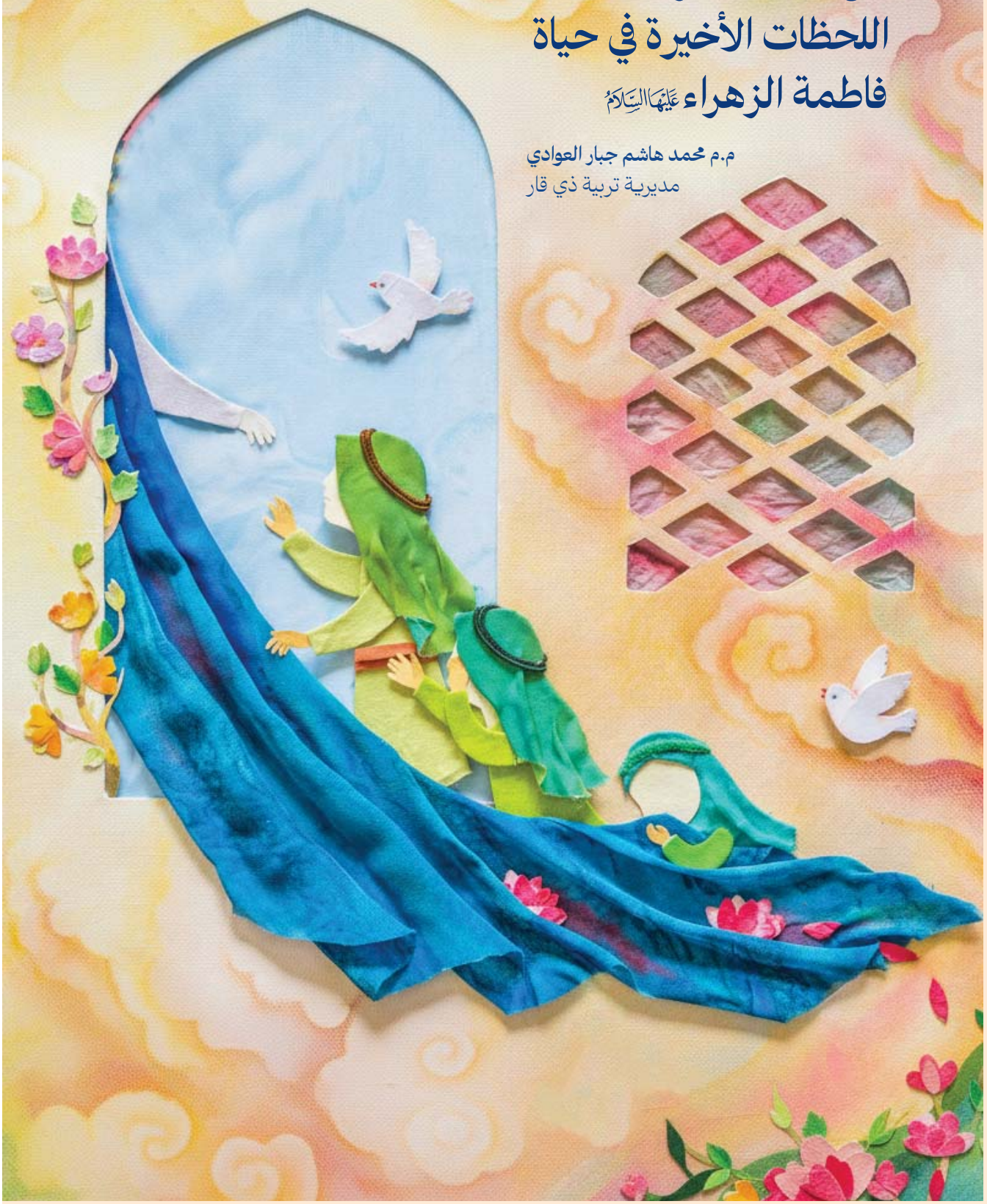
واليوم في ظل العولمة والدعوات المحرضة على تفكك الأسرة، من دعوة الى السفور والتبرج وتحرير المرأة، ومساواتها مع الرجل وتمكين المرأة، فنحنُ بحاجة إلى فكر واعٍ ورشيد كفكر السيدة الزهراء عليها السلام، وكذلك بحاجة إلى الانفتاح على شخصياتنا؛ لنُفيد من مكنون القيم الإنسانيَّة والمبادئ الأخلاقيّة والمناحي الثقافيَّة، ونستثمرها في معالجة مشكلاتنا، وما يعترينا من مسائل وإشكالات؛ بسبب الغزو الثقافي، والانفتاح غير المحمود الذي أثّر في مجتمعنا اليوم، وخير معين ننهل منه للمواجهة هو فكر سيدة نساء العالمين، فشخصيتها المتحركة ليست مجرد خروج ومواجهة وخطاب، فكر وتوعيَّة وتبليغ وإرشاد في المجالات كافة، التي يحتاجها من يريد سلوك

الإنسانيَّة الحقة؛ لذا ينبغي للبنات والزوجات والأمهات الاقتداء بالسيدة الزهراء عليها السلام، في عفتها وحشمتها وعدم تبرجها وتميعها، وفي علاقتها بزوجها وإدارة بيتها، وفي حركتها خارج البيت، وفي علاقتها بأبيها ورعايتها له، وفي تنظيم وقتها بما يرضي الله تعالى.

١. السيد محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد: ٩.
٢. ظ: السيد الخامنئي، المرأة نصف الدنيا: ٣٣.
٣. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، السيدة فاطمة قدوة وأسوة: ١٠.
٤. ظ: المصدر نفسه: ٥٩.
٥. الإمام الخامنئيّ، ظ: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة: ١٤٢.
٦. الشيخ محمد فاضل المسعودي، ظ: الأسرار الفاطمية: ٢٧١.
٧. ظ: المصدر نفسه: ٢٧٣.
٨. ظ: السيدة فاطمة قدوة وأسوة: ٥٨-٥٩.
٩. المجلسي، بحار الأنوار: ١٠١/ ٩٠.
١٠. ظ: المصدر نفسه: ٤٣/ ١٢٥.
١١. القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى: ٢/ ١٢٥.
١٢. ظ: انتصار عدنان العواد، الآصرة الزوجية المقدسة بين الإمام علي والسيدة الزهراء عليها السلام: ٢١.
١٣. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، السيدة فاطمة قدوة وأسوة ٩٥.
١٤. السيوطي، الجامع الصغير: ١/ ٢٦٢.
١٥. ظ: د. علي موسى الكعبي، سيدة النساء فاطمة الزهراء: ٧٥.
١٦. السيد محمد تقي المدرسي، ظ: المرأة في المجتمع الإسلامي: ١٣.
١٧. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٤.
١٨. ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل: ١٤/ ٢٨٩.
١٩. ابن طاووس، الطرائف في معرفة الطوائف: ٢٦٤.
٢٠. ظ: الزهراء (عليها السلام) أهداف. مواقف. نتائج: ٣٨-٣٩.
٢١. ظ: المصدر نفسه/ ٣٩.
٢٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت): ٧/ ١١٣.
٢٣. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، السيدة فاطمة قدوة وأسوة: ١٥١-١٥٢.
٢٤. ظ: المصدر نفسه: ١٥٣.

بين البـــاب والجـــدار
اللحظات الأخيرة في حياة
فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار



ليست الشهادة مجرد لحظة انفصال الروح عن الجسد، بل هي ذروة مسيرة حياة، وخاتمةٌ تلخص كل ما سبقها من جهاد وصبر، وعندما تتعلق هذه الشهادة بسيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فإنّها تصبح حدثاً يهزُّ كيان الوجود، لأنه خلّف جرحاً لا يندمل في قلب التاريخ الإسلامي، إنّ استشهادها لم يكن حدثاً عابراً، بل كان فصلًا مأساوياً من فصول الصراع بين الحق والباطل، ومأساةً إنسانيةً عظيمة.

من هي سيدة نساء العالمين؟

هي ابنة رسول الله محمد ﷺ، من زوجته خديجة بنت خويلد عليها السلام[1] وهي زوج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأم الإمامين الثاني والثالث الحسن والحسين عليهما السلام، لقّبها النبي ﷺ بـ"الزهراء" لكونها كانت تُزهر لأهل السماء كما تُزهر النجوم لأهل الأرض، فاطمة بضعة مني من سرّها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس علي، فقد وردت روايات عن النبي ﷺ قال: ((ابنتي فاطمة فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الانسية))[2].

مما يدلُّ على فضلها على جميع نساء البشرية، بما في ذلك مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون اللتان كانتا سيدتي نساء عصرهما، أجمعت المصادر الإسلامية بكل مذاهبها على فضلها ومكانتها الرفيعة في القرآن الكريم، فقد روى الثعلبي عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ: أنّ رسول الله كان في بيتها إذ أتته فاطمة عليها السلام بقطعة حرير، فقال النبي: أدعي لي زوجك وابنيك فأتت بهم فاطعموا، ثم ألقى عليهم النبي كساءً خيبرياً وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فنزلت آية التطهير قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[سورة الأحزاب: ٣٣]، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري، أنّها نزلت في خمسة من أهل بيت الرسول وهم أصحاب الكساء (النبي، علي، فاطمة، الحسن، الحسين) فإنّ هذه الآية دلّت على عصمتهم جميعاً، أمّا بمعتقدنا نحن الإثني عشرية فنرى بأنّ السيدة معصومة من الذنب والخطأ، وهذا ما ذهبَ إليه الشيخ المفيد والعلامة المجلسي إنّ عصمتها محل إجماع[3]، قال رسول الله ﷺ: ((فاطمة سيدة نساء العالمين)) و((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة))[4]، وقال ﷺ أيضاً: ((إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها))[5].

انقلاب الأمة:

بعد رحيل النبي ﷺ، دخلت الأمّة في منعطف خطير، وفقاً للروايات التاريخية والمصادر الشيعية وبعض المصادر السنية، حدثت جملة من المواقف أدت إلى إبعاد الإمام علي عليه السلام عن الخلافة، وكان أقسى هذه الأحداث هو ما تعرضت له ابنة النبي ﷺ، فقد أقدم بعض الأشخاص على دخول دارها لإجبار بعلها علي عليه السلام على البيعة، ما أدى إلى تعرضها للأذى هي ومن في دارها، ونتيجة لذلك تعرضت

لإصابة بالغـــة، وكسر في ضلعها وإســـقاط جنينها (المحســـن)، وهي الحادثـــة التي تُعـــرف بحادثة "إحراق البـــاب" أو "كدّ الـــدار"[٦].

تقول الروايـــات التاريخيـــة: إن الزهراء عليها السلام بعد هـــذه الحادثة، آلت عـــلى نفســـها أن لا تكلم من آذاها، وظلـــت مكتئبـــة حزينة على فـــراق أبيها وجريحة الجســـم والروح، وازداد وضعها الصحي ســـوءاً يوماً بعد يـــوم، وكانت ترفـــض أن يُداوى جرحها أو يُعَالَـــج، حتى اقتربت ســـاعة الرحيل في تلـــك اللحظات الأخـــيرة، كانت تتنهـــد ألماً، لا من جراح جســـدها فحســـب، بـــل من جرح ألمّ بها أكـــبر: وهو تخـــلي الأمة عن وصيـــة نبيها، ومظلوميـــة زوجهـــا أمير المؤمنـــين عليه السلام. وكانت تردد: "يـــا أبتـــاه، إلى رســـول الله، يـــا أبتاه إلى جبرئيل يخبرك، يا أبتـــاه ماذا لقينا بعدك"، تشـــير المصادر إلى أنهـــا أوصت الإمام عـــلي عليه السلام بأمرين أساســـيين في وصيتها:

الأول: أن يتـــولى هو شـــخصياً غســـلها وتكفينها والصـــلاة عليها ودفنهـــا ليلاً.

والثاني: أن يُخفـــي قبرها، حتـــى لا يحضر جنازتها أولئك الذين آذوها وتســـببوا في شـــهادتها.

وهذا ما حصـــل بالفعل ففـــي ليلـــة الثالث من جمادى الآخـــرة (أو اليـــوم الثالث منه بحســـب بعـــض الروايـــات) في الســـنة الحاديـــة عشرة للهجـــرة، فاضت روحهـــا الطاهـــرة إلى خالقها، ونفـــذ الإمام عـــلي عليه السلام وصيتها، فدفنهـــا سراً في جنح الظـــلام، وأخفى قبرها، الـــذي بقي مجهول الموقـــع إلى يومنا هذا، وإن كانت هنـــاك اعتقادات قوية أنـــه في "البقيع".

الدروس والعبر:

ثمن المبدأ: تعلّمنا ســـيدة النســـاء أن الشهادة هي ثمنٌ يدفعـــه الأطهـــار أحياناً للتمســـك بحقهم ومبادئهم.

صمود المرأة: كانت فاطمـــة عليها السلام أنموذجاً للمرأة القويـــة الصامدة التـــي تدافع عن الحـــق، حتى ولو كلفها ذلـــك حياتها.

الســـر الأكبر: إخفـــاء قبرها هو تنفيـــذ لوصيتها، وأيضـــاً تحول إلى رمـــز دائم عـــلى ظلامتها، يجعل قضيتها حيـــة في الضمير الإنســـاني إلى الأبد.

آخر المطاف:

إن اللحظـــات الأخـــيرة لحيـــاة الســـيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بين جســـدٍ مثخن بالجـــراح وروح تواقـــة للقاء أبيهـــا صلى الله عليه وآله، وبين بـــاب دارها الذي أُعتـــدي عليه وبين جـــدار القبر المجهـــول، تظل لوحـــةً محفـــورة في الذاكرة إنها تذكرنـــا بأنّ طريق الحق قـــد يكـــون شـــائكاً ومليئاً بـــالألم، ولكن النهاية هي النصر الأبدي، فهي الشـــهيدة ســـيدة نســـاء العالمـــين، التي بقـــي قبرهـــا سراً، ولكن ذكراها أصبحت ثـــورة في ضمير كل حـــرٍّ يواجه الـــظلـــم.

١- جعفر السبحاني، السيرة المحمدية: ١/ ٤٦، ١٢٥

٢- الشـــيخ الصدوق، الآمـــالي: ١١٣، الحمويـــي الجويني، فرائد الســـمطين: ٢/ ٣٥، الطبري الآملي، بشـــارة المصطفى لشـــيعة المرتضى: ١٩٨

٣- الشـــيخ المفيـــد، الفصول المختـــارة، ، المجلـــسي، بحار الانـــوار، ابن شـــهر آشـــوب، مناقـــب آل أبي طالب.

٤- ابن حجر العسقلاني، صحيح البخاري: ٧/ ١٣٢.

٥- الحاكم النيسابوري، المستدرك: ٣/ ١٥٤.

٦- لابن قتيبة الدينـــوري، الإمامة والسياســـة ١/ ٣٠ (يذكر حادثة كـــدّ الدار).

خصائص بناء الأسرة السعيدة

من خصائص بناء الأسرة السعيدة:

التواصل المفتوح والصادق:

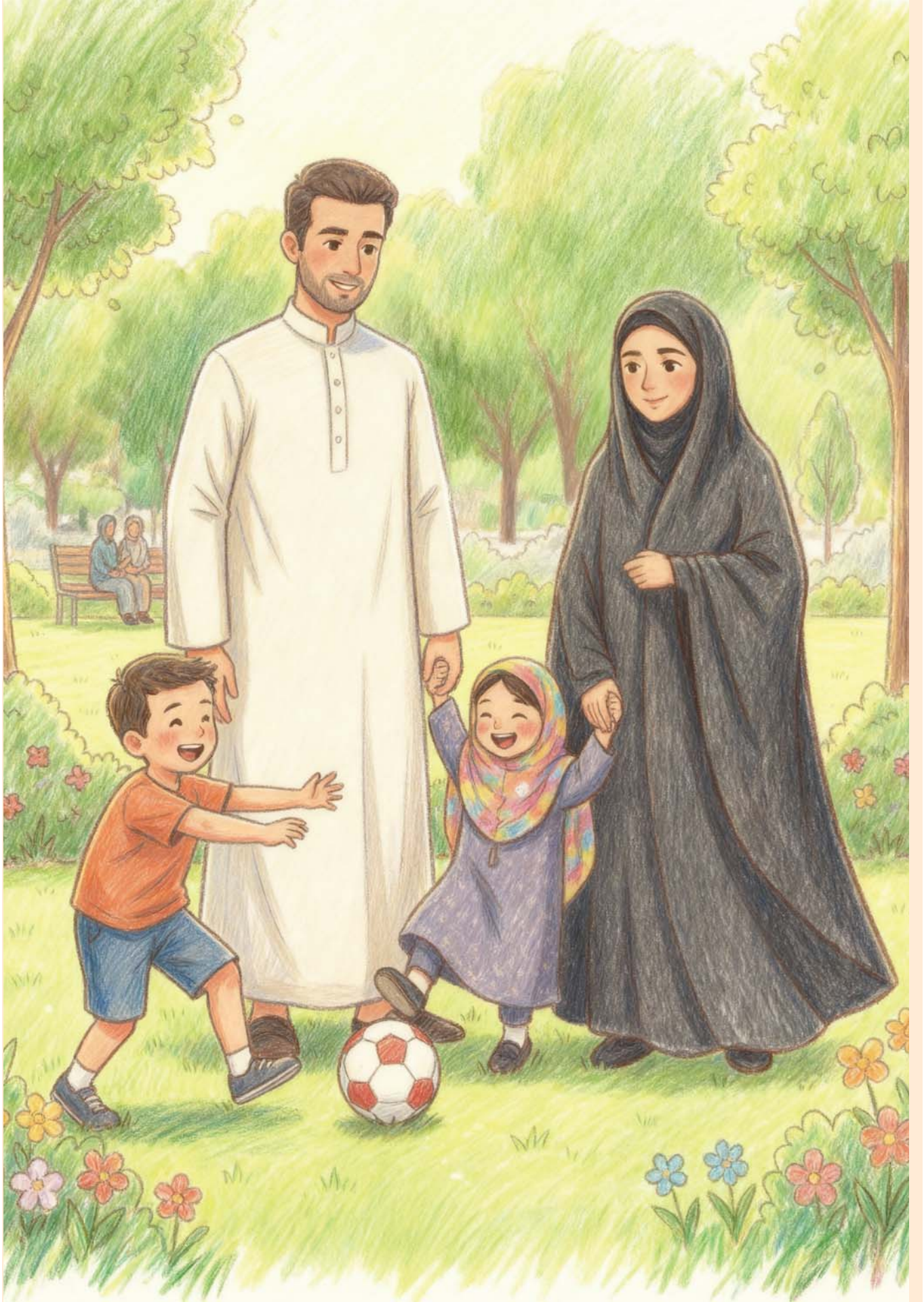
الأسرة السعيدة تقوم على التواصل الصريح والمنفتح بين أفرادها، يستمعون بانتباه بعضهم لبعضهم الآخر، ويحترمون آراء بعضهم بعضا، ويعبرون عن مشاعرهم واحتياجاتهم من دون خوف من الحكم عليهم أو الشعور بالخجل.

لذا، يُعدّ التواصل الجيد أحد أهمّ مفاتيح بناء أسرة متناغمة وسعيدة، حاول دائمًا التحدّث بصراحة وصدق، واحترم جميع آراء أفراد الأسرة، فهذا يُساعد على تجنّب الخلافات وتعزيز التفاهم بينهم.

قضاء وقت ممتع مع أفراد الأسرة

أفراد الأسرة السعيدة يهتمون ببعضهم بعضًا، ويشتركون بنشاط في حياتهم، عادةً ما يقضون وقتًا ممتعًا، ويخصصون وقتًا للتفاعل وتبادل الخبرات وممارسة الأنشطة معًا كوحدة واحدة.

لذا، من طرق بناء أسرة سعيدة أن يكون الأفراد نشيطين، ويبنوا روح التعاون فيما بينهم. ويخصصوا وقتًا لقضاء العُطل معًا بانتظام، على سبيل المثال، وينبغي أن يناولوا الطعام معًا في الخارج، أو عندما يسافروا، أو يخيموا، أو ربما ببساطة عند طبخ الطعام يكونوا معًا، ليتحول الفناء إلى مقهى في عُطل نهاية الأسبوع.



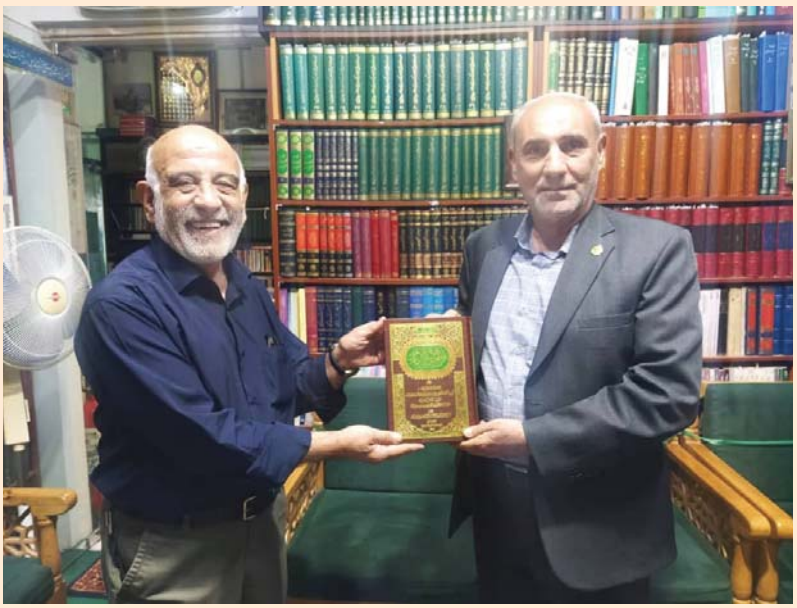


حوار العدد

- حوار مع الأستاذ محمد مجتهدي
  مسؤول مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام
  التخصصية في مدينة مشهد
  المقدسة

حاوره : هاشم محمد الباججي

في حواره مع مجلة الولاية
الأســـــتاذ محمــد مجتهدي:



حاوره : هاشم محمد الباجي

إن عامـل اسـتمرار حياة المكتبـة هـــو كتبهـا الجديـدة، فـإذا لـم تكن موجـــودة، فلـن يكـون هنـاك جديـد هنـــا، لذلـك توصيـتي الدائمة للأصدقاء هـي أن يبحثوا كثـيراً عـن الكتب.

الهمةُ العالية هي قوة الانبعاث في الشيء وطلبه بصدق ، وأن يبذُل الانسان همته ووُسعه في أنْ يُحصّل المراتب العُلا من كُلّ ما يُحقّق له المصالح الدُّنيويّة والأخرويّة، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وهمّةُ المُؤمن تكُون عالية باستشعار هدفِهِ العظيم الذي من أجلِهِ يسعى، ولاسيما إذا كان هذا الهَدف هُو طلب العِلْم ونشره .

وفي جولة علمية لهيأة تحرير مجلة الولاية في مدينة مشهد المقدسة التقينا بأحد أولي الهمم العالية، الذي آلى على نفسه في سبيل بناء صرح علمي ثقافي وتشييد مكتبة تخصصية بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وجمع فيها كل ما كتب عن الامام سلام الله عليه، وبجهود ذاتية ، وقد التقيناه وجرى الحوار في الاتي:

متى وكيف قمت بتأسيس المكتبة المتخصصة بالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في مشهد؟

الأستاذ محمد مجتهدي: بصفتي مدرّساً في المدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم في مشهد، كنتُ إلى جانب التدريس الرسمي، أعقد جلسات للناشئين أركز فيها بشكل أكبر على قضية الإمامة ، لأنني أعتقد أن الإمامة مهمة جدا فهي امتداد لأصل من أصول الدين، وتأتي بعد التوحيد والنبوة والمعاد، لذا كنت أركز على هذا الأصل، لا سيما إمامة أمير المؤمنين أبو الأئمة عليهم السلام.

في عام ١٣٧١ هـ.ش (١٩٩٢ م)، أقمنا معرضاً بعنوان "مع الرواة جنباً إلى جنب مع المدافعين عن الغدير" في مشهد لمدة خمسة أيام، وقدمنا فيه ١١٠٠ مصدر عن الغدير، نصفها مصادر شيعية والنصف الآخر مصادر سنية، وكان لكتابي "الغدير" و"عبقات الأنوار" دور أساسي في تشكيل هذا العمل ، كان السؤال الذي يقدّمه زوار المعرض هو: كيف يمكن الوصول إلى هذه المصادر؟

هنا، وبفضل الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، خطرت لي فكرة إنشاء مكتبة تخصصية تتمحور حول حضرة أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي عام ١٣٧٢ هـ.ش (١٩٩٣م) توفي والدي رحمه الله، واشتريتُ من ميراثه أربعة آلاف مجلد خلال سبع سنوات من العمل التمهيدي، كنا نشتري كل ما نحدده ونجده متوافراً ونجمعه في المنزل، أحد الأشخاص الذين أظهروا لنا كثيرا من المودة والإرشاد في هذا المجال هو المرحوم الحاج آقا رضا الأميني (نجل العلامة الأميني)، وبسبب ضيق المساحة في منزلي الشخصي، استأجرنا منزلاً بجوار حسينية النجفيين، وفي عيد الغدير عام ١٣٧٩ هـ.ش (٢٠٠٠ م)، تم افتتاح مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام التخصصية رسمياً في مشهد، ومنذ عام ١٣٨٠ هـ.ش (٢٠٠١ م) تبرع المرحوم الشهيد الحاج آقا رضا فولاد كار، الذي استشهد هو وزوجته وصهره وأحد أحفاده في حادث إرهابي في كربلاء قبل أكثر من عشر سنوات، بهذا المبنى تحت الموجودين فيه حاليا، وبعد تهيئة المساحة الداخلية، استقررنا في هذا المكان حتى يومنا هذا.

ما عدد الاوعية المكتبية لديكم، ما أبرز موضوعاتها، وما نظام الفهرسة المتبع داخل المكتبة؟

حتى الآن تم جمع ما يقرب من ثلاثين ألف نسخة مصورة (صور مخطوطات)، وأطروحات، وكتب مطبوعة بأكثر من خمسين لغة عالمية، ضمن ستة موضوعات رئيسة ومئتي موضوع فرعي في هذه المجموعة، وإن ترتيب المصادر في هذه المكتبة لا يعتمد على تصنيف الكونغرس أو ديوي، بل يعتمد على "رمز المقر" (تصنيف داخلي)، وإن الموضوعات الرئيسة الستة هي: "حياة الإمام، فضائله، أقواله، الغدير، الشيعة، والإمامة"، والمئتا موضوع فرعي تشمل مثلاً: الإدارة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، المرأة في كلام أمير المؤمنين، أمير المؤمنين في كلام الآخرين، أمير المؤمنين في الأدب... وما إلى ذلك.

ما آلية الحصول على الكتب والمصادر الجديدة والمهمة للمكتبة؟

أنا أعتبر إن عامل استمرار حياة المكتبة

هو كتبها الجديدة، فإذا لم تكن موجودة، فلن يكون هناك جديد هنا، لذلك توصيتي الدائمة للأصدقاء هي أن يبحثوا كثيراً عن الكتب، لدينا كتاب وجدناه بعد ١٥ عاماً من البحث! بتسديد من الله تعالى وببركة أمير المؤمنين عليه السلام، والأمر لا يتعلق بي فأنا عامل وهو صاحب العمل، هو نفسه يعلم أنني بحاجة إلى هذا الشيء، ولأنني أعتقد أنه لا ينبغي لأحد أن يَمُنَّ على أمير المؤمنين عليه السلام، واغلب الكتب الجديدة والمصادر التي وصلت إلى هنا تتم عن طريق الشراء.

والطريقة الأخرى هي التبادل فهناك أشخاص أتوا إلى هنا لكتابة أطروحة أو كتاب، فأعطونا نسخة، وهناك أيضاً من أهدوا كتباً إلى هنا؛ وبالطبع أهدوها من أجل أمير المؤمنين عليه السلام، يعني أن تأمين مصادر المكتبة يتم بثلاث طرائق: الشراء، أو التبادل، أو الاهداء من قبل المؤلف أو الناشر، ناهيك عن أن العديد من المكتبات الشخصية قد أُهديت إلى هذه المكتبة التخصصية، ومؤخراً إحدى طرائق إعداد المصادر هي طباعة ملفات الكتب الرقمية، إذا وجدنا ملفات الكتب على الإنترنت، فإننا نطبع نسخة واحدة فقط للاستخدام في المكتبة.

هل لدى المكتبة مصادر مميزة لا توجد في المراكز الأخرى؟

من حيث النصوص القديمة والخطية قليلة، ولكن النصوص الجديدة نعم، فعلى سبيل المثال توجد سلسلة من الكتب في هذه المكتبة من المؤكد أنها غير موجودة في إيران، والسبب في ذلك هو أسفاري المتكررة إلى دول أخرى ومعارض متنوعة، فكنت أحاول متابعة جميع المعارض، سواء بالحضور الشخصي أم عن بعد، لم نتمكن من الذهاب إلى بعض البلدان مثل مصر، لكنني ذهبت إلى معظم دول الشرق الأوسط وقمت بالشراء، لدرجة أن الناشرين العرب أصبحوا يعرفونني بصفتي شخصا يجمع كتب أمير المؤمنين عليه السلام وفي البلدان التي لم يكن السفر إليها ممكناً، وجدنا أصدقاء بادروا بإعداد وإرسال الكتب.

وكان حاضرا في اللقاء الدكتور مهدي مجتهدي، وهو القائم بأمور المكتبة التنظيمية ومساعد والده الاستاذ محمد مجتهدي في ادارة المكتبة، وقد سألناه بالاتي:

ما أثر المكتبة في المجتمع، ولاسيما نحن في عصر الانترنت؟

نحن نرصد الأشخاص الذين يكتبون الابحاث في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا استثنينا إيران والعراق ولبنان والوسط الشيعي، فإن الأشخاص الذين كتبوا في الإمام عليه السلام ولو مقالة واحدة، يُعدّون على الأصابع، هذا ولّد لدي تجربة، فقد أردت أن أعمل على موضوع أطروحتي للدكتوراه بعنوان "الدراسات العلوية في الغرب"، أي أولئك الذين أنجزوا عملاً مستقلاً حول حضرة الامام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى عام ٢٠١٣، أعتقد أنه تم إنجاز ما يقرب من ٨٠ بحثا مستقلاً، منها أقوال أمير المؤمنين عليه السلام التي تُرجمت في القرن السابع عشر الميلادي إلى اللغة اللاتينية ووجدتها في مكتبة في ألمانيا، وفي مجال التعاون الدولي أيضاً، مثال على ذلك السيدة طاهرة قطب الدين ففي حوالي عام ١٣٩٣ هـ.ش (٢٠١٤ م)، قامت بترجمة كتاب

"دستور معالم الحكم" للقاضي القضاعي، وهو من أقوال أمير المؤمنين إلى اللغة الإنجليزية، أرسلتُ لها بريداً إلكترونياً وعرّفتها بالمكتبة، فأرسلت الكتاب مع مسافر، في ذلك الوقت أخبرتني أنها تعمل على ترجمة نهج البلاغة، فأرسلتُ لها ملف نسخة نهج البلاغة التي طبعناها بالاشتراك مع العتبة العلوية، وقد ذكرتْ اسم المكتبة في مقدمة ترجمتها لنهج البلاغة وشكرتنا.

بعض أولئك الذين يعملون في إيران، في الواقع لا يراجعوننا؛ أي أنهم مصداق المثل القائل: "الطفل الذي لا يبكي لا يرضع"، في كثير من الأحيان لا يبذلون أي جهد للوصول إلى المصدر، في حين أنهم لو بحثوا في الإنترنت وموقع المكتبة أو أجروا اتصالاً أو أرسلوا بريداً إلكترونياً، فإننا نقدم لهم الخدمات في حدود إمكانياتنا.

هل لديكم مشروع مستقبلي بالتحول نحو المكتبات الرقمية؟

بدأت الأعمال وأُنجزت، ولكن بما يتناسب مع قدراتنا المالية المحدودة، على سبيل المثال موقع مكتبة أمير المؤمنين التخصصية رائدٌ، مقارنة بكثير من المكتبات في إيران، أو حتى في العالم؛ لأنها مكتبة تخصصية، وفي عام ١٣٨٣ هـ.ش (٢٠٠٤ م) كنا أول مكتبة غير حكومية في إيران لديها فهرس على الإنترنت؛ أي كان بإمكان الشخص البحث عن كتب المكتبة في الفضاء الافتراضي، في وقت لم يكن فيه أي نظام برمجيات مكتبية بنظام ويندوز، بل كانت تعمل على نظام التشغيل (DOS)، قمنا بكتابة برنامج، ثم قمنا بتفعيل نسخته عبر الإنترنت، وجميع الكتب كانت تحتوي أيضاً على حقل لصورة غلاف الكتاب، أي لم يكن هناك كتاب بدون غلاف، وذلك في وقت لم يكن فيه حتى (Google Books) قد أُنشئ بشكل صحيح، هذا السبق يمكن أن يكون جديراً بالاهتمام، وفي الوقت الحاضر عندما يصل كتاب إلى المكتبة، غالباً ما يقوم أطفالي وهم في المرحلة الابتدائية، بمسح (Scan) لأغلفته، في المرحلة التالية، تقوم زوجتي بإدخال المعلومات البليوغرافية، ومن هذه الناحية أيضاً نحن محدّثون في الغالب، ويمكن رؤية معلومات الكتاب بسرعة على الموقع، ومنذ عام تقريباً أصبح الوصول إلى موقعنا أفضل، وفي كثير من عمليات البحث على جوجل، يظهر موقع المكتبة في الصفحة الأولى، وهو أمر مهم ومفيد جداً للجمهور، علما ان موقعنا: imamali.info.

ورجعنا بالسؤال الى الوالد الاستاذ محمد مجتهدي، هل للمكتبة اصدارات خاصة بها؟

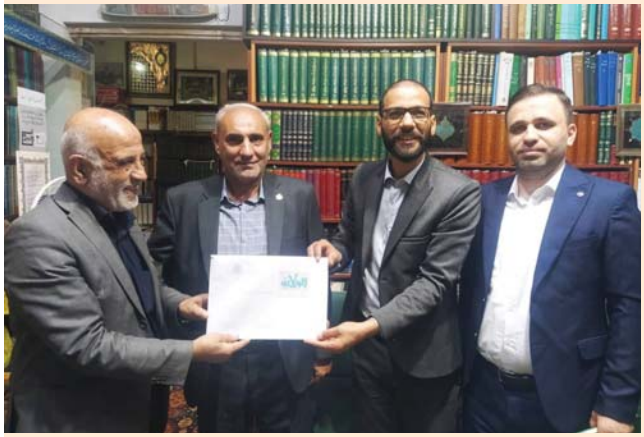
الحمد لله، حتى الآن تم نشر أكثر من أربعين عنواناً من قبل دار نشر مكتبة أمير المؤمنين علي عليه السلام التخصصية في مشهد، تشمل هذه العناوين تحقيق المخطوطات النادرة للباحثين، وأعمالاً لعامة الناس، بل تشمل أيضا كتباً للأطفال، وترجمة للنصوص القديمة، وعلى رأس هذه الأعمال تحقيق نهج البلاغة، بضبط ابن سكون الحلي، الذي نشرناه بالاشتراك مع العتبة العلوية، والدكتور علي أحمد عمران، وهو الآن أستاذ في جامعة البحرين، جاء إلى هنا لمدة عامين من أجل أطروحته في جامعة بتونس، وقد قمنا بطباعة تلك الأطروحة

في بيروت بعنوان "أسلوب علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه الحربية".

كلمة اخيرة؟

في إحدى سفراتي التي تشرفتُ فيها بزيارة النجف الأشرف، قلت للامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا أمير المؤمنين! من لا يعرف المكتبة، فلا شيء عليه؛ ومن يعرفها ولكن لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فلا شيء عليه أيضاً؛ ولكن أولئك الذين يعرفونها ويستطيعون أن يفعلوا شيئاً، إذا لم يفعلوا، فسأمسك بتلابيبهم يوم القيامة؛ لأن هذه المكتبة ليست لي، إنها لكم، وهذا الشخص قد قصّر بحقكم))

إن تحدياتنا في هذه القضية كثيرة، سواء من الجانب الحكومي أم غير الحكومي، من مكان المكتبة إلى التعاملات، مثلاً أنا الآن أفرح كثيراً إذا أتى أي شخص وأهدى كتاباً إلى المكتبة أو أخذ ثمنه مني، بدلا من أن يكون لديه الكتاب ولا يحضره، قلنا إننا سنقوم بالأعمال بأنفسنا، لكننا نتحرك ببطء؛ لأنه لا خيار لدينا؛ بينما مكتبة بهذا الحجم تحتاج على الأقل إلى ٧ أو ٨ أشخاص للعمل فيها، لكننا نعمل بأنفسنا فقط، وهناك كثير من الأعمال التي نرغب في إنجازها، لكننا نمضي قدماً وفقاً لمحدودية قدراتنا المالية ، وقد لا تصدقون إذا قلت إننا نفذنا حتى الآن عشرة بالمائة فقط من خططنا وتسعون بالمائة منها ما تزال على الورق، المسألة الأولى هي النقص الحاد في مساحة المكتبة، وهو نقص كبير جداً بالنظر إلى أن المكتبة تحمل اسم أمير المؤمنين.



وفي الوقت الحالي أحد أهم اهتماماتنا ينصب على المصادر التركية، إذ إن الشيعة والعلويين في تركيا نشطون، وحتى أهل السنة هناك الذين ليس لديهم آراء وهابية متطرفة، فالكتب التركية في مكتبة أمير المؤمنين التخصصية أكثر من الإنجليزية، وتأتي كتب الأوردو ومطبوعات شبه القارة الهندية في المرتبة التالية، والتي بالطبع نحصل على مصادرها بصعوبة بالغة.

إن آفاقنا كثيرة؛ والآن أقولها بصراحة، نحن متقدمون جداً مقارنة بالعديد من المكتبات، ولكن من حيث الأهداف التي نتوخاها، نحن متأخرون جداً، على الرغم من أن مصادر كثيرة قد جُمعت في هذه المكتبة وهي فريدة من نوعها، ولكن كمركز للوثائق العلوية يجب أن يحتوي على جميع أنواع المواد المكتبية والأرشيفية بأية لغة، فإن أمامنا طريقاً صعباً ولكنه ممتع، دائماً أطلب هذا من الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام وأقول: يا أمير المؤمنين: امنحنا القوة؛ لنتمكن من أداء واجبنا تجاهكم.

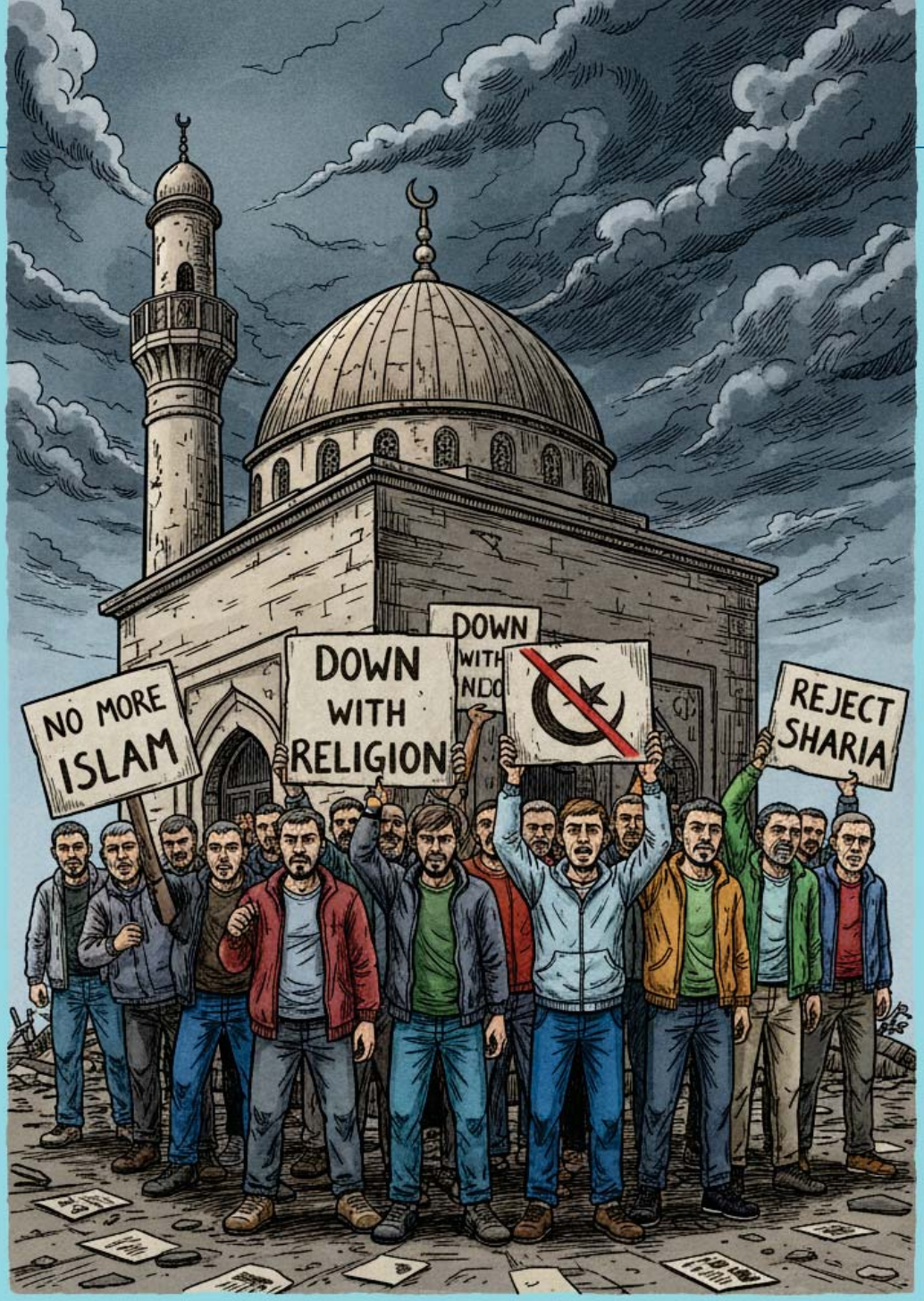
الشرق والغرب

- "الإسلاموفوبيا" صناعة غربية أم مواريث شرقية ؟ "قراءة في المؤشرات والأسباب"

  د. علي موسى الموسوي
  متخصّص في شؤون الحوار التنويري الإنسانيّ

- مفاهيم الفلسفة الغربية... الرمز أو تأويلية بول ريكور مثالا

  أ.د. إيمان السلطاني
  كلية التميّز في اللغة العربية وآدابها / جامعة الكوفة



"الإسلاموفوبيا" صناعة غربية أم مواريث شرقية ؟
"قراءة في المؤشرات والأسباب"

د. علي موسى الموسوي
متخصّص في شؤون الحوار التنويري الإنسانيّ

من جهتنا علينا أن نستوعب أن هذه الظاهرة بتداعياتها المختلفة تسكن لا وعي الغرب وتحييها وتغذيها سلوكيات بعض المسلمين المتطرفين والمتعصبين، وهذا الأنموذج هو الذي تستغله وسائل الإعلام وغيرها: لإنتاج صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين.

إن تناول سؤال الإسلاموفوبيا، يقتضي فهمًا دقيقًا للوضع العام بأوروبا، لاسيما في ما يتعلق بعلاقة الأنا بالآخر، أيضا مشاكل التعايش، الجذور التاريخية لشيوع التمثلات الخاطئة عن الإسلام، وغيرها؛ - نعرف كلنا أن التوتر بين الإسلام والآخر الغربي بشقيه- المسيحي واليهودي- هو توتر قديم لكن يمكننا الجزم أن أحداث ١١ أيلول، أحدثت انقلابًا أيديولوجيا عمق الفجوة أكثر بين الأنا المسلمة والغرب، وإلا ما دلالة تأثير هذه الأحداث والتي ندينها أخلاقيًا في المسلمين خاصة، على الرغم من كلّ هذا العنف الذي يشهده العالم.

أسباب هذه الظاهرة متعدّدة:

أسباب ذاتية: تتعلّق بالمسلم نفسه، الذي فشل في إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام، كمنظومة قيمية وأخلاقية كونية تؤمن بالآخر وباختلافه وبحقوقه؛ في المقابل اختزل الإسلام في بعدهِ الطقوسي: (اللباس، اللحية، بناء المساجد)، ونسي أن الإسلام منظومة حياة، وقبلها منظومة أخلاق (بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) لهذا فالصورة النمطية السيئة التي أسّست لها وسائل الإعلام الغربية والأفلام السينمائية والرسوم الساخرة، هي نتاج سلوكيات بعض المسلمين الذين عجزوا عن بلوغ كنه الرسالة المحمدية السمحة، بل لدينا أيضًا المسلم بالانتماء فقط مع جهل تام للشريعة الإسلامية.

أسباب سياسية تهم الآخر: إذ يتم استغلال التوتر القائم لأجل مآرب سياسية، فيروّج مثلا: إلى أنّ هذا المسلم مستغل وحاقد على حضارة مسيطرة ومتفوقة، وهو التسويق السياسي الذي ينشط في أثناء خوض غمار الانتخابات، وقد نتج عنه في عديد المرات مظاهرات ضد ما سُمّي "أسلمة أوروبا"؛ الأمر نفسه سيحصل في الولايات المتحدة الأميركية، عندما استغل Donald Trump أحداث ١١ أيلول ليستحدث اليمين المحافظ الذي نادى بمنع المسلمين من دخول الولايات المتحدة الأمريكية.

أسباب اقتصادية: ما تجنيه شركات الإنتاج من الأفلام المعادية للإسلام والمسلمين؛ -الخطير عندما يشارك المفكر في هذه الحملة الشرسة التي تعمق فجوة الصراع وتهدّد السلم والأمن الدوليين، وقد لامسنا حجم الإنتاجات الفكرية المعادية للإسلام والمسلمين، بل هناك من اعتبر أن ظاهرة الاسلاموفوبيا، صناعة إسلامية لترهيب المخالفين وللسيطرة على أوروبا/ Pascal Bruchner. ولأننا إزاء منظومة غربية تؤمن بثقافة حقوق الإنسان أيضًا، فقد تعالت الأصوات لأجل تجاوز خطابات الكراهية والدفاع عن القيم الإنسانية التي ميزت

الغرب: قيم التسامح والتعددية وقبول الآخر.

من جهتنا علينا أن نستوعب أن هذه الظاهرة بتداعياتها المختلفة تسكن لاوعي الغرب وتحييها وتغذيها سلوكيات بعض المسلمين المتطرفين والمتعصبين، وهذا الأنموذج هو الذي تستغله وسائل الإعلام وغيرها لإنتاج صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين.

إذن التحدي، أن نعمل على إنتاج صورة إيجابية عن الإسلام وإنتاج خطاب قيمي أخلاقي يمثل الصورة الحقيقية للإسلام، نحتاج أن نكرس ثقافة الاختلاف كي ننظر إلى الآخر داخل كينونته الإنسانية لا العقدية، لأجل إنسانية متعايشة ومتسامحة؛ نحتاج للاندماج الإيجابي والفعال ونحتاج لجهود مضاعفة لأجل استثمار الديموقراطية والحرية الغربية استثمارًا إيجابيًا، عوض فسح المجال أمام قوى الظلام التي استغلت فضاءات الحرية ونشطت لتعبئة الشباب وشحنهم بأفكار التطرف والتعصب ونبذ الاختلاف.

دائمًا ما ترفع الدول الغربية شعارات احترام حقوق الإنسان والحرية وتبني صورتها في العالم على أنها دول ديمقراطية تفسح المجال للجميع لإبداء الآراء وتحترم التعددية الفكرية والدينية، ولكن يتبين يومًا بعد يوم أنها شعارات رنانة مزيفة، فاللغة تختلف حين يتعلق الأمر بالمصالح وحقوق الأقليات في تلك الدول التي تنتشر بها جرائم التمييز والعنصرية والكراهية ضد المسلمين ومقدساتهم، فبات الاعتداء على المسلمين وممتلكاتهم وحرق المصاحف وتخريب المساجد أمرًا معتادًا ومتواترًا، يتم تحت حماية الشرطة وبزعم حرية التعبير، وفي ظل تجاهل تام لمشاعر ملياري مسلم حول العالم.

وانطلاقًا من ضرورة التصدي لظاهرة "الإسلاموفوبيا" التي تُمثّل خطرًا داهمًا على التعايش العالمي، واستنادًا لحقيقة أن المسلمين يمثلون قرابة ١٠٪ من إجمالي سكان أوروبا ويشكلون مصدر ثراء فكري وعلمي وحضاري لأوروبا، وخلاصة القراءة البحثية ما يأتي:

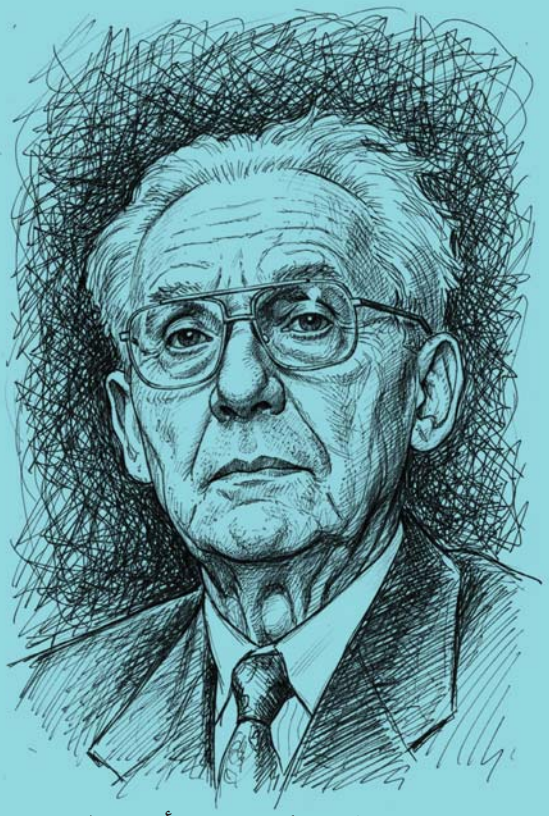
- عدّ السلوكيات العدائية ضد الإسلام والمسلمين جريمة يُعاقب عليها القانون الدولي.
- سن تشريعات وقوانين تستهدف الجماعات المتطرفة والعنصرية التي تمارس مظاهر عدائية ضد المسلمين على الأرض وافتراضيًا، وتضمن معاقبتهم على الجرائم العنصرية المُرتكبة.
- وضع تعريف محدد تتفق عليه دول العالم فيما يتعلق بمصطلح (الإسلاموفوبيا) حتى يسمح للمسلمين بالإبلاغ عن أي جرائم يتعرضون لها.
- تفعيل الأدوار السياسية والاجتماعية للجاليات المسلمة باعتبارهم جزءًا من نسيج المجتمع، وليسوا مواطنين من الدرجة الثانية.
- تعزيز الحملات الإعلامية الرامية إلى زيادة الوعي بخطر (الإسلاموفوبيا) وتعزيز الصورة الإيجابية للإسلام، وتقديم أعمال درامية تمثّل الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين.

مفاهيم الفلسفة الغربية... الرمز أو تأويلية بول ريكور مثالًا

أ.د. إيمان السلطاني
كلية التميّز في اللغة العربية وآدابها /جامعة الكوفة

يعدّ الرمز عند الفيلسوف الفرنسي بول ريكور مفهومًا مركزيًا في فلسفته، لا سيما في إطار الهرمنيوطيقا (علم التأويل). فالرمز ليس مجرّد إشارة بسيطة أو علامة، بل هو وسيلة للكشف عن معانٍ أعمق من تلك التي تظهر على السطح. وقد انتقد ريكور الفهم التقليدي الذي يرى أن الرمز مجرد علامة تشير إلى شيء آخر بطريقة مباشرة أو تعاقدية، كما في اللغة اليومية أو النظرة الوضعية[١]، بل إنه يرى أن الرمز ينطوي على كثافة في المعنى، وغالبًا ما يكون محمّلًا بدلالات وجودية أو روحية أو أخلاقية، إذ يرى ريكور أن: ((الرمز يعطي للفكر ما يفكر به))[٢]، أي أنّ الرمز ليس شيئًا نمثله أو نفسره فحسب، بل هو ما يفتح المجال للتفكير في مستويات متعددة من المعنى — الظاهر والباطن، المباشر والعميق. ولذا، يعدّ الرمز نقطة انطلاق للتأويل، إذ له معنى مزدوج: يقول شيئًا، ويشير إلى شيء آخر في الوقت نفسه[٣].

وعندما نصادف رموزًا في اللغة، أو في الأساطير، أو في الدين، أو في الأدب، فهي تتطلب منا تفسيرًا ؛ لأنها تخفي في طياتها شيئًا غير ظاهر. ويرى ريكور أن الرموز مرتبطة بتجربة الإنسان في العالم، لا سيما ما يتعلق بالمعاناة، والذنب، والأمل، والخلاص[٤]. فالرموز الدينية مثلًا لا تعبر عن أفكار مجردة، بل تعبّر عن تجربة بشرية عميقة.



وقد استلهم ريكور من أرسطو مفهوم التطهير وطبّقه على الرموز، ولا سيما في التراجيديا، والأسطورة، والدين، فالرمز يتيح للإنسان التعبير عن مشاعره وتجارب وجوده بطريقة غير مباشرة تساعده على الفهم والتجاوز[٥]، يُميز ريكور بين التفسير السطحي أو الحرفي للرمز، الذي يتعامل معه بوصفه علامة فقط، وبين التفسير العميق أو التأويلي، الذي يحاول الكشف عن المعنى المستتر

ويتطلب "رحلة تأويلية" لفهمه[٦]، فالرمز لا يُفهم مباشرة، بل يحتاج إلى جهد لفك شفرته والانفتاح على معناه العميق، كما يُميز ريكور بين الرمز والاستعارة. فالرمز عنده ذو بعد أنثروبولوجي وأخلاقي مرتبط بالخبرة الإنسانية العميقة (مثل رموز الشر والطهارة والخطيئة)، بينما تعمل الاستعارة على مستوى الخطاب الشعري، وتُنتج معنى جديدًا من خلال انزياح لغوي وصراع بين الدال والمدلول[٧]، لذا يرى أن الرمز يُفسَّر في حين أنّ الاستعارة تُفكك، ويعاد تركيبها لتكشف عن إمكانات جديدة للمعنى.

أما الدين والأسطورة، فهما عند ريكور وسائل أساسية لفهم الوجود. فالدين ليس مجرد طقوس أو عقائد، بل تعبير عن القلق الوجودي العميق، ونصوصه الرمزية بحاجة إلى تأويل للدخول في حوار وجودي مع المعنى[٨]، في حين أن الأسطورة تقدم سردًا بدئيًا يربط الإنسان بالمقدس والطبيعة والموت والخطيئة والخلاص، وتساعد على تفسير التجربة الإنسانية الأولى بطريقة رمزية[٩].

العلاقة بين الوعي واللاوعي عند بول ريكور:

تأثر بول ريكور بتحليل الرموز في علم النفس، لا سيما عند سيغموند فرويد وكارل غوستاف يونغ؛ إذ يرى أن الرمز يعمل جسراً بين اللاوعي النفسي (الرمزي، الحلمي، الأسطوري) والوعي الفلسفي (التأملي، الأخلاقي)[١٠]، وقد تناول العلاقة بين الوعي واللاوعي من ضمن مشروعه الفلسفي الذي يدمج بين الظاهراتية والتحليل النفسي وعلم التأويل، ولم يكن هدفه الفصل بين هذين المفهومين، بل بناء جسر تأويلي بينهما، لأن اللاوعي عنده ليس مجرد طاقة غريزية أو نظاماً بيولوجياً، بل هو بنية رمزية تحتاج إلى قراءة وتأويل[١١].

ويعدّ ريكور العلاقة بين الوعي واللاوعي ليست علاقة قطيعة تامة، بل هي علاقة صراع وتوتر؛ لأن اللاوعي يؤثر في الوعي بشكل غير مباشر من خلال الرموز والدلالات[١٢]، فالوعي لا يدرك اللاوعي إدراكًا مباشرًا، بل يسعى إلى تأويل رموزه لفهم ذاته. ومن هنا، يرى ريكور أن الذات لا تعرف نفسها مباشرة، بل تمر في معرفتها بذاتها عبر وساطة اللاوعي والرموز واللغة والسرد، بما يشكّل رحلة تأويلية طويلة[١٣].

حاول ريكور التوفيق بين الذات الواعية كما صاغها ديكارت في قوله: ((أنا أفكر إذن أنا موجود))، وبين الذات اللاواعية كما صاغها فرويد في قوله: ((اللاوعي هو الذي يتكلم فينا))، فلم يرفض ريكور مقاربة ديكارت ولا مقاربة فرويد، بل رأى أن الحقيقة الإنسانية لا تكتمل إلا عبر دمج الذات العاقلة والذات الراغبة، أي بين الوعي واللاوعي، في مشروع تأويلي واحد يسعى لفهم الإنسان بكل أبعاده[١٤].

الفهم والتفسير عند بول ريكور:

تأثر بول ريكور في بداياته بمناهج الهرمنيوطيقا البنيوية وتيارات التفكيك، مستلهمًا أفكاره من أمثال رولان بارت وميشال فوكو، وسعى إلى المزاوجة بين الفلسفة الظاهراتية، ولاسيما فلسفتي هوسرل وهايدغر، والتقاليد الهرمنيوطيقية الكلاسيكية عند شلايرماخر ودلتاي وغادامير. وقد أولى عناية خاصة بالبعدين اللغوي والزماني للمعنى، واصفاً أن النص ((يتمركز بوصفه بنية مستقلة، يتم إعلان "موت المؤلف"، ويُفهم

بذاتـــه دون ارتهان لمقصديات منشـــئه))[١٥].

وفي هذا الســـياق، عدّ ريكور أن نيـــة المؤلف لا تكون المرجع النهائي أو المطلـــق للمعنى، لأن النص ينفتح بعـــد كتابته عـــلى إمكانات تأويـــل متعددة. وقد لخّـــص هـــذا التوجـــه في عبارته الشـــهيرة: ((مـــا يقوله النص يفـــوق ما قصده المؤلـــف))[١٦]، إشـــارةً إلى أن المعنى الـــذي يحمله النـــص يتجاوز القصد الأصلي لمن أنشـــأه، إذ ((يحرر فعـــل الكتابة النص مـــن مؤلفـــه، ويفتحه أمام قـــراءات لا متناهيـــة))[١٧]، ويرى ريكور أن التأويل لا يسعى لاســـتعادة نية المؤلف كما هي، لأن القـــارئ يعيش في زمـــن مختلـــف، وتجربة مغايـــرة، ويمتلـــك أفقًا تأويليًـــا خاصًا.

ومع تطور مشروعه الفلســـفي، تبـــيّن لريكور أن التركيز عـــلى النص وحـــده يُقصي البعد الإنســـاني في عمليـــة الفهم ، ومـــن هنا عاد تدريجيًـــا إلى دمج المؤلف من ضمـــن التأويل، لكن ((ليـــس بالمفهوم التقليـــدي للمؤلف بوصفـــه مالـــكًا للمعنى، بل بوصفـــه مكونًا في شـــبكة المعنى، وجزءًا من مســـار التأويل))[١٨].

وقد ميّز ريكور بين بُعدين هما :

الفهـــم: وهو البعـــد الحدسي أو المبـــاشر الذي تحيا بـــه الذات تجربـــة المعنـــى عند تلقـــي النص لأول مرة، وهـــو مرتبط بتجربة القـــارئ وحضوره الوجودي.

التفســـير (الشرح): وهو تفكيـــك النص وتحليله باســـتعمال أدوات منهجية، منها البنيوية واللسانيات، للولـــوج إلى بنيته العميقة.

ويؤكـــد ريكـــور أن ((الفهم والتفســـير ليســـا متعارضـــين، بل متكاملـــين، يمثـــلان حركتين في الدائرة الهرمنيوطيقية))[١٩]، تبـــدأ العملية بفهم أولي للنص، ثم تفســـير منهجـــي، يعقبه عـــودة إلى فهم أعمق وأكثر نضجًـــا. وهذه الدائرة ليســـت دورانًا مغلقًـــا، بل ((حركـــة حلزونية تصاعديـــة نحو فهم أكثـــر تركيبًا))[٢٠].

ويشـــير ريكـــور إلى أن ((الهـــدف النهائي من التأويـــل ليـــس النص ذاتـــه، بل فهم الـــذات عبر وســـاطة النصوص))[٢١]. فالتأويل هـــو رحلة بين الشرح والفهم، يســـعى القارئ عبرها إلى اســـتيعاب العـــالم الذي يفتحـــه النص، وفهم ذاتـــه ضمن هذا العالم .

مع مـــرور الزمن، انتقل ريكور مـــن هرمنيوطيقا الظن (التـــي تطغى عليها الشـــكوك حـــول المعنى الظاهـــر للنصـــوص) إلى هرمنيوطيقا اســـتيعابية تصالحية، تســـعى إلى المصالحة بين النـــص والقارئ والمؤلف، وتجاوز الانقســـام بين المقاصـــد والمعاني.

الدلالة والتأويل عند بول ريكور:

وجـــاءت الدلالة عنـــد بول ريكـــور، متجاوزة المعنى الحرفي للنـــص، لأنها ((ما يمكن أن يُســـتنتج أو يُفهـــم من النص في مســـتوى أعمـــق، أي البعد الرمـــزي أو التأويـــلي للخطـــاب))[٢٢]. فالدلالـــة مرتبطـــة بـ التأويل، إذ تنشـــأ من انفتـــاح المعنى على العالم، أي مـــن العلاقة بين ((ما يقولـــه النص وبين ما يشـــير إليـــه أو يفتحه مـــن إمكانيـــات للوجود والفهـــم))[٢٣]، والمعنـــى على وفق ريكـــور، هو ما تبـــدأ به القـــراءة، بينـــما الدلالة هي ما تســـعى إليه التأويـــلات المتعددة ، فهـــو ما يقوله النـــص، أمّا الدلالـــة فهي ((مـــا يقصـــده النص أو مـــا يفتحه النـــص من آفاق للفهـــم في العـــالم))[٢٤]. بين المعنى

والدلالة يحصل ما يسميه ريكور بـ ((التوتر الخلّاق))، وهو التوتر الذي يمنح النص عمقه وثراءه[٢٥].

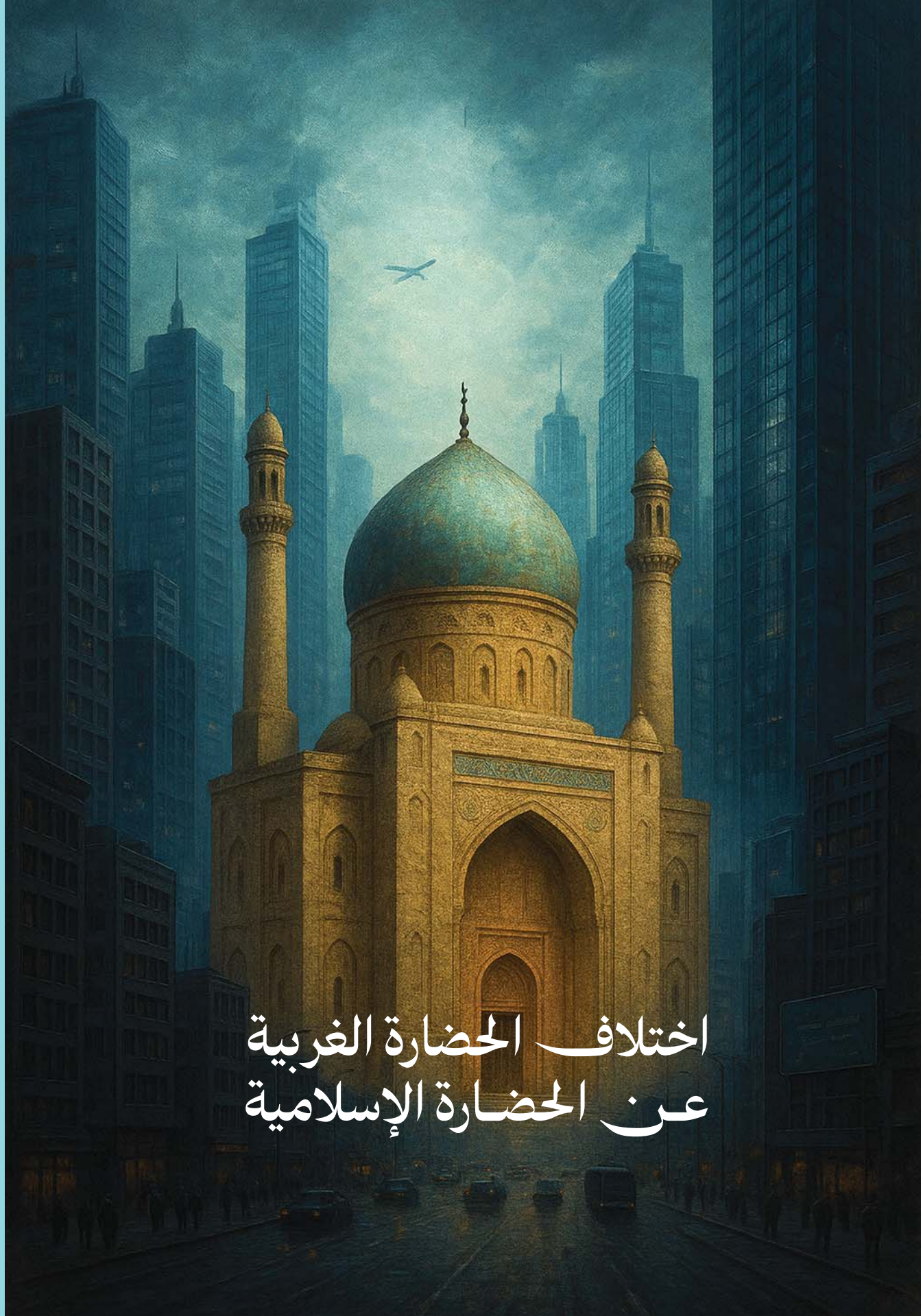
التأويل بوصفه حوارًا:

في ضوء الفلسفة التأويلية الحديثة، لا سيما عند غادامير، وديليثي، وريكور، يُشَبَّه التأويل بـ الحوار، لأن أفق المعنى ليس مغلقًا، والنص ليس كيانًا جامدًا، بل ((منفتح على إمكانيات متعددة للفهم))[٢٦]، يحدث التأويل عند نقطة التقاء أفق التلقي (القارئ) بـ أفق النص، في ما سماه غادامير بـ ((اندماج الآفاق))[٢٧].

ويبدأ التأويل غالبًا بـ ((سؤال يطرحه القارئ على النص، فيجيب النص، لكن إجابته ليست نهائية، بل تدعو إلى سؤال جديد))[٢٨]، فالنص لا يُفهم إلا في ضوء الأسئلة التي يطرحها المؤوِّل، ويتغير فهم المؤول كلما تغيّر أفقه المعرفي أو السياقي ؛ لذلك لا توجد قراءة نهائية أو مغلقة للنص، بل هناك ((تفاعل حي بين ما يقوله النص وما ينتظره القارئ))[٢٩]، عندما نقول إن التأويل حوار بين النص والقارئ، فإننا نعني أن الفهم لا يكون أحادي الاتجاه، بل هو تفاعل بين ((النص بما يحمله من إمكانات دلالية، وبين القارئ بما لديه من أفق معرفي وثقافي وتوقعات))[٣٠].

يميّز ريكور بين ما أراد المؤلف قوله (أي النية أو المقصد) وبين ما يقوله النص بالفعل حين يُقرأ ويُؤول. ويؤكد أن ((القول يفوق القصد))[٣١]، لأن النص ينتج معاني جديدة مع كل قراءة، فلا يتوقف عند إرادة المؤلف أو مقصديته الأصلية، بل ينفتح على آفاق دلالية جديدة باستمرار.

١- ينظر: محمد شوقي الزين، التأويل والرمز عند بول ريكور: ٧٥.
٢- حسن حنفي، بول ريكور: فلسفة الإرادة والرمز والشر: ٣١٢.
٣- ظ: التأويل والرمزعند بول ريكور: ٧٥.
٤- ظ: المصدر نفسه: ١٢٣.
٥- ظ: بول ريكور: فلسفة الإرادة والرمز والشر: ٢٠١.
٦- ظ: بول ريكور، من النص إلى الفعل، : ٦٧ .
٧- . : بول ريكور، الاستعارة الحية : ٨٩ .
٨- ظ: فلسفة الإرادة والرمز والشر، ص ٢٤٥.
٩- ظ: التأويل والرمز عند بول ريكور، ص ١٤٥.
١٠- ظ: فرويد والفلسفة: مقالة في التأويل، بول ريكور: ١١٢.
١١- ظ: من النص إلى الفعل: دراسات في الهرمنيوطيقا، بول ريكور: ٨٣.
١٢- ظ: التأويل والرمز عند بول ريكور، ١٦٧.
١٣- ظ : بول ريكور: فلسفة الإرادة والرمز والشر، ٢٧٧.
١٤- بول ريكور، فرويد والفلسفة: مقالة في التأويل، ٣١٥.
١٥- بول ريكور، نظرية التأويل،: ٥٢.
١٦- بول ريكور، الزمان والحكي: ٨٥.
١٧- المصدر نفسه: ٨٨.
١٨- من النص إلى الفعل: ٤٥.
١٩- نظرية التأويل: ٦٠.
٢٠- المصدر نفسه، ٦١.
٢١- بول ريكور، الذات عينها كآخر: ١١٥.
٢٢- نظرية التأويل: ٥٧.
٢٣- المصدر نفسه، ٥٩.
٢٤- من النص إلى الفعل: ٥٠.
٢٥- المصدر نفسه : ٥٢.
٢٦- الزمان والحكي: ١/ ٩٠.
٢٧- هانس غيورغ غادامير، الحقيقة والمنهج: ٣٢٥.
٢٨- نظرية التأويل: ٦٢.
٢٩- المصدر نفسه: ٦٤.
٣٠- من النص إلى الفعل: ٥٥.
٣١- نظرية التأويل: ٦٦.


اختلاف الحضارة الغربية
عن الحضارة الإسلامية

إنّ مسار تشكيل الحضارة الغربيّة واختلافاتها عن الحضارة الإسلاميّة يتمثل بالآتي:

أوّلًا: إنّ الدين كان بالنسبة إلى الغرب أمرًا عرضيًّا، في حين كان الدين، بالنسبة إلى الحضارة الإسلاميّة، من جملة ذاتياتها الحضاريّة.

ثانيًا: إن مسار تشكيل الحضارة الغربيّة وتكوينها ومراحل تبلورها لم يكن مسارًا معنويًّا، بل كان مسارًا ماديًّا ودنيويًّا؛ إذ تبلور ردحًا من الزمن في إطار السفسطائيّين، وحينًا في إطار الإقطاعيّين، وردحًا آخر من الزمن في إطار البرجوازيّين، في حين لم يكن في الحضارة الإسلاميّة سفسطائيّون، ولم يتمكّن الإقطاعيّون من الاستيلاء على المراحل والقرون الحضاريّة، وجعل علماء الإسلام إقطاعيّين، ولم يكن ثمّة في الأساس ظهور أو تشكل للبرجوازيّة في عالم الإسلام، وفي مرحلة من المراحل الحضاريّة للإسلام، فعلى الرغم من وجود نوع من العلمانيّة في العالم الإسلاميّ، إلّا أنّ العالم الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة لم تخض تجربة الحضارة والثقافة العلمانيّة أبدًا، ولم يتمّ الاعتراف رسميًّا بالإلحاد المنبثق عن العلمانيّة إطلاقًا.

ثالثًا: إنّ الحضارة الإسلاميّة حتّى في أحلك المراحل تأزّمًا في عصر الغزو المغوليّ والتتريّ لم تستسلم لظروف الحياة القاسية؛ إذ لجأت إلى نوع من الروحانيّة الصوفيّة والعرفانيّة، ولم تفصل مسارها عن الطرق السماويّة، حتّى في أشدّ الظروف والأوقات حرجًا ومرارة.

رابعًا: إنّ الذي يمكن الحصول عليه من الغرب، بوصفه نقطة اختلاف حضاريّ، هو أنّ الحضارة الإسلاميّة تختلف عن الحضارة الغربيّة من الناحية الثبوتيّة في نقاط تاريخيّة جوهريّة، وأنّ مقارنة شرائط الحضارة الإسلاميّة مع الحضارة الغربيّة، وتقليد المسار الحضاريّ الغربيّ، والقول بوجود تشابه بين هاتين الحضارتين، ثمّ العمل على رسم أُنموذج لـ«الاتحاد والتنوّع» في الحضارة الإسلاميّة على أساس تاريخ مسألة «الاتحاد والتنوّع» في الحضارة الغربيّة، أمر مجانب للصواب.

إنّ الغفلة عن هذا الاختلاف، وتقليد المشروع الحضاريّ للغرب في تكوين الحضارة الإسلاميّة، لن تعجز عن مجرّد حلّ التحدّيات المرتبطة بـ«التنوّع» و«التشتّت» أحيانًا فحسب، بل سوف تعمل في سياق هذه المقارنات الخاطئة على إيجاد اختلافات وتشتّتات جديدة، وسوف تقضي على أرضيّات الاتحاد الحضاريّ في العالم الإسلاميّ أيضًا.

لإنّ الإمّة الإسلاميّة تعاني اليوم من تشرذم وتفكّك غير مسبوق من الناحية السياسيّة، وقد واجهت حملات واسعة وتحديات غير متوقّعة، فيما يتعلق بالعلمانيّة الحديثة، وهي أعظم بكثير مما كان عليه الوضع إبّان الهجوم المغوليّ على البلاد الإسلاميّة.

ذاكرة الأمم

- من تراث الزهراء "سلام الله عليها" (الجامع الأزهر أنموذجاً)

الباحث: مرتضى غالب كامل
محافظة ذي قار

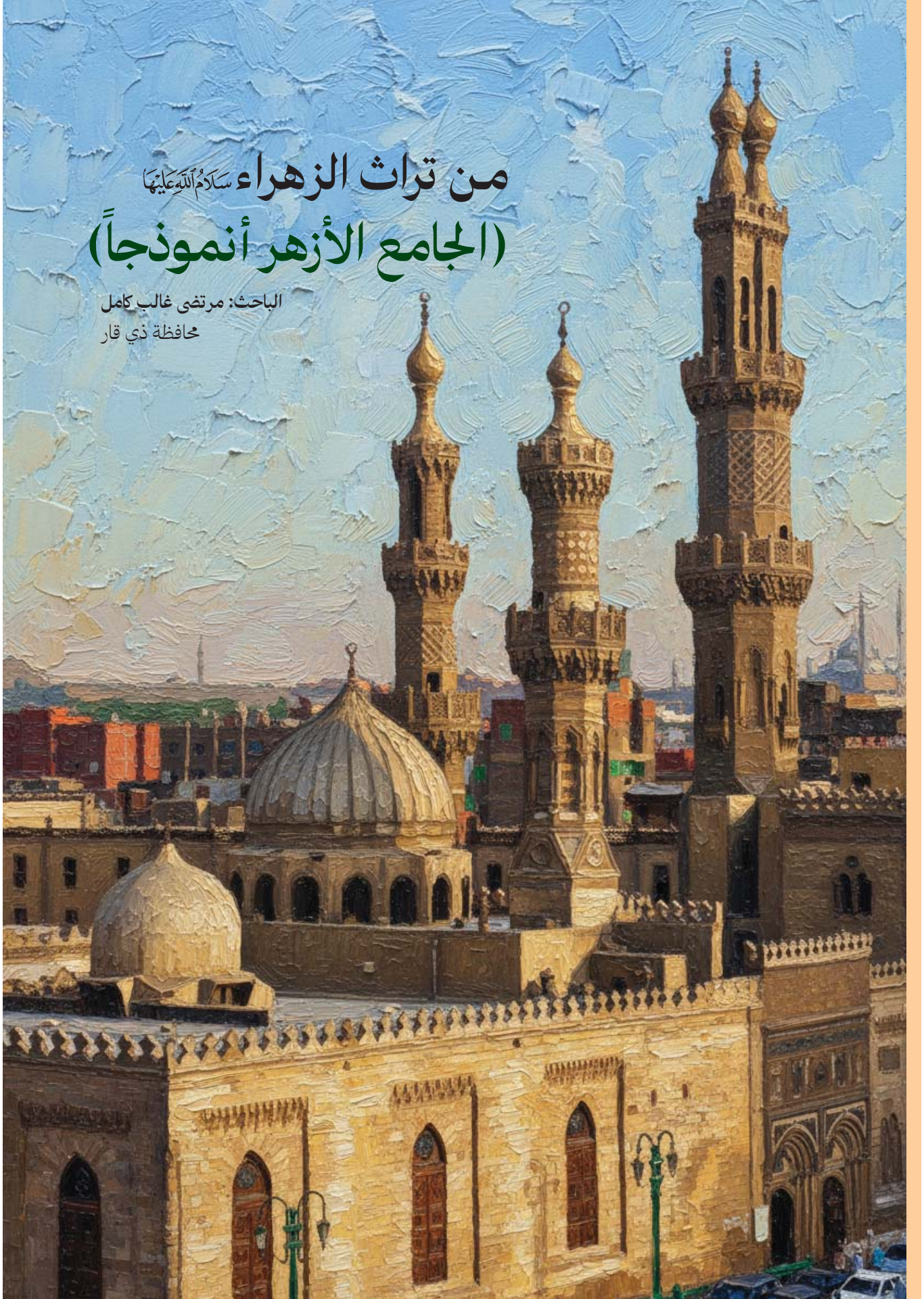
- مواقف بعض الصحابة من فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحث: سامر الصائغ
العتبة العلوية المقدسة

من تراث الزهراء سلام الله عليها

(الجامع الأزهر أنموذجاً)

الباحث: مرتضى غالب كامل
محافظة ذي قار



فاطمة الزهراء سلام الله عليها هي بضعة النبي صلى الله عليه وآله ونور عينه وثمرة فؤاده يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين كما جاء ذلك في روايات الفريقين[1].

وللسيدة الزهراء عليها السلام من الآثار ما دوّنته بطون الكتب وسجلته أقلام المؤرخين، ما دعا العلماء والمحققين إلى الغوص في بحر علومها لإخراج درر كلماتها وغرر حكمها ونفائس مروياتها ومكنون منزلتها وفضلها وتحليل مواقفها، على الرغم من صغر سنها؛ إذ رحلت عن الدنيا وهي في ريعان شبابها وهذه الآثار ليست غريبة على الصديقة الزهراء عليها السلام، التي لم تفارق أباها طيلة حياته المباركة فكانت عليها السلام تسمع منه أحاديثه وأخباره وخطبه، وتتزود من فيوضات علومه، فينفتح لها من كل باب من العلم ألفُ باب، ويستعرض المقال النزر اليسير من تلكم الآثار وبشكل موجز جداً، وبعدها ينتقل إلى نوع آخر من الآثار وهو آثارها عليها السلام من جهة المكان واخترنا (الجامع الأزهر) أنموذجا ؛ لأنه سمي بهذا الإسم تبركاً باسم سيدة نساء العالمين، وكما سيأتي، ولأنه يعد من مفاخر مصر الزاهرة ومآثرها الباهرة، وثاني أقدم جامعة في العالم، تخرج منه المئات من كبار العلماء والساسة، أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما.

من آثارها العلمية والفكرية:

١- مُسندها : ونعني به الأحاديث التي روتها عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله، جمعها جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، وهو من علماء العامة المعروف بمكانته في علوم الحديث وطرقه ورجاله وطبقاته في كتاب أسماه (مسند فاطمة)، ومن جملة تلك الأحاديث المعروفة والمتواترة التي روتها عليها السلام حديث الثقلين.

٢- خطبها: كانت عليها السلام آية كبرى في الفصاحة والبلاغة، قد حازت على الدرجات العلى في الخطابة والأدب، وهي كبعلها أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها، وقد أثرت عنها عليها السلام أكثر من خطبة منها الخطبة التي القتها في المسجد على مسامع الناس، بُعيد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، إذ تُعدّ من أهمّ ما صدر عن لسان أهل البيت عليهم السلام، فهي تعتبر وثيقة تاريخية متكاملة وميثاقاً مهماً للحق والعدل والحرية عبر التأريخ، وقد شملت على عديد من الموضوعات، منها ((حمد الله والثناء عليه، التوحيد، علل الشرائع والأحكام، محاسن الدين الاسلامي، إنجازات الرسول، الحديث عن القرآن، بيان انقلاب الحكم ضد آل الرسول،.. وما إلى ذلك)) وقد تصدى غير واحد من العلماء والمحققين بشرح تلك الخطب، منهم المرحوم الخطيب السيد محمد كاظم القزويني قدس سره في كتابه القيم (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد).

٤- فقهها: هناك مسائل فقهية من الممكن أن يتوصل إليها الفقيه، وذلك عن طريق كلمات وخطب الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، وهذا ما فعله بعض العلماء منهم المرجع الديني الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره في موسوعته الاستدلالية في الفقه الإسلامي، قال في مقدمة كتابه : إنّ السيدة الزهراء عليها السلام مجهولة قدراً ومهضومة حقاً، ولعل من مصاديق مجهولية قدرها عدم الإستفادة من كلماتها وخطبها في (الفقه)[٢]، ولذلك قام قدس سره بتأليف هذه الموسوعة الفقهية التي بلغت (١٢) مجلداً.

٥- درر من كلماتها: تناقلت الكتب والموسوعات الحديثية كوكبة من درر كلماتها نذكر منها :

ـ من أقوالها عليها السلام : (نحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه)[٣].

ـ وفي الإخلاص في العبادة حيث تقول عليها السلام: (من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله عز وجل له أفضل مصلحته)[٤].

ـ ومن اقوالها عليها السلام: (ان كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا، وإلا فلا)[٥].

ـ ومنها قولها عليها السلام: (فإني أشهد الله وملائكته أنكما اسخطتماني وما رضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه)[٦].

ـ وقولها عليها السلام: (أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا، التاسع من ولد الحسين)[٧]، إلى غير ذلك من كلماتها الذهبية .

كانت سلام الله عليها آية كبرى في الفصاحة والبلاغة، قد حازت على الدرجات العلى في الخطابة والأدب، وهي كبعلها أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها، وقد أثرت عنها عليها السلام أكثر من خطبة منها الخطبة التي القتها في المسجد على مسامع الناس

آثارها عليها السلام من جهة المكان:

ما تقدم كان نزراً يسيرا من آثارها العلمية، وبشكل موجز جدا، وإلّا فآثار السيدة الزهراء عليها السلام وأسرارها لا يمكن لنا أن نستوعبها، وأنّى للذرة أن تحيط بالمجرة !؟ وإنما سميت (فاطمة) بهذا الاسم لأن الخلق فُطموا عن معرفتها، كما في الحديث الشريف[٨].

ولكن من باب ما لايُدرك كله لا يُترك جله سنتحدث - وبإيجاز شديد - عن آثارها من الجهة المكانية، وسنسلط الضوء على الجامع الأزهر، بوصفه أنموذجا على ذلك.

مصر قبل الأزهر:

من المعلوم في التاريخ أن مصر قد فتحت في زمن عمر بن الخطاب عام ١٨هـ على يد عمرو بن العاص، وبنى مسجده المعروف اليوم باسم (جامع عمرو بن العاص)، وقد استقر بمصر كثير من الصحابة والتابعين،وهاجر إليها الشافعي، وفيها درّس مذهبه، وقد انتشر المذهب الشافعي في مصر على يدي الشافعي وتلاميذه، وقبل ذلك كان المذهب المالكي هو المشهور، وكانت هناك محاولات لنشر المذهب الحنفي على يد القاضي إسماعيل الكندي، الذي ولّاه العباسيون قضاء مصر، فعمل على نشر مذهب أبي حنيفة فيها، أما الحنابلة فكانوا قليلين فيها.

خضعت مصر- أول الأمر - للحكم الإسلامي في عهد الخلفاء، ثم لدولة بني أمية، ثم لدولة بني العباس. واستقل أحمد بن طولون بمصر عن الخلافة العباسية، وكان قد ولي الحكم فيها سنة ٢٥٤هـ، وبنى فيها مسجده المعروف مسجد ابن طولون، ثم جاءت بعد الدولة الطولونية الدولةُ الإخشيدية في مصر والشام، حتى فتح الفاطميون مصر وانتزعها جوهر الصقلي عام ٣٥٨هـ ، في عهد الخليفة الفاطمي المعز، وأخذ جوهر يبث الدعوة للمعز الفاطمي في مصر خاصة ولأهل بيته من العلويين عامة، واختط مدينة القاهرة، وبنى الأزهر الشريف[٩].

تأسيس الجامع الأزهر وأصل التسمية:

الجامع الأزهر درة مفاخر مصر، وأهم مساجدها على الإطلاق، ويعد ثاني أقدم الجامعات في العالم بعد جامعة القرويين بفاس في المغرب، بحسب تصنيفات كتاب (غينيس) للأرقام القياسية[١٠]، تُدرس فيه علوم القرآن والشريعة مع العلوم التطبيقية والأكاديمية ، بُني في زمن الدولة الفاطمية بعدما فتح مصر جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" وشرع في بنائه يوم السبت لست بقين من شهر جمادى الأول سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) ،وكمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ ، وكان الغرض من إنشائه أن يكون رمزاً للسيادة الروحية للدولة الفاطمية، ومنبراً للدعوة التي حملتها هذه الدولة الجديدة إلى مصر.

وقد كتبت جملة تذكارية في الجامع الأزهر عند أو بعيد إنشائه بالخط الكوفي بدائر القبة، التي في الرواق الأول إلى يمين المحراب والمنبر، وهذا نصها بعد البسملة: ((مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي، وذلك في ستين وثلاثمائة)).

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام التي ينتسب إليها الفاطميون[١١].

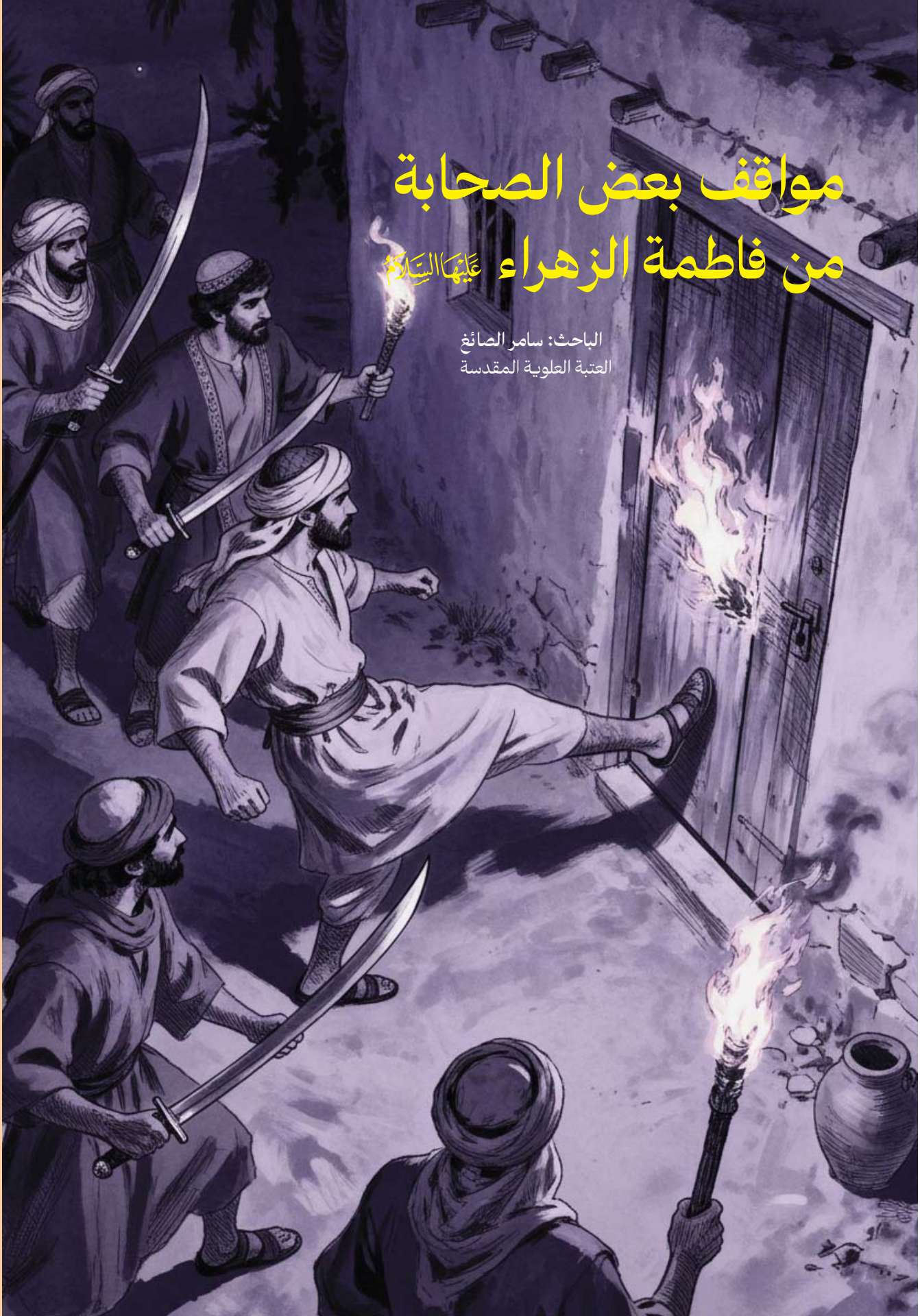
ويرى المؤرخون أسباباً شتى لإطلاق اسم الأزهر على جامع الفاطميين الأول في مصر، لكن الظاهر أن لفظة (الأزهر) مشتقة من الزهراء عليها السلام لقب السيدة فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت الدولة الفاطمية تنسب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كما سميت باسمها الدولة[١٢]، وبقي مذهب الشيعة منتشراً في مصر قضاءً، وفي الأزهر دراسةً، إلى أن سقطت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي.

مآثر ومزايا:

وخلاصة القول: إن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، لها عديد من المآثر والمزايا التي انفردت بها عليها السلام، وقد روى الرواة من العامة والخاصة أحاديث كثيرة في فضلها وأثرت عنها خطب وغرر من الحكم، في جوانب شتى من المعارف الإسلامية، ولم تقتصر آثارها على فنون العلم والأدب والأخلاق، بل نشاهد آثارها شاخصة إلى يوم الناس ، وما الجامع الأزهر الذي بناه الفاطميون بمصر إلا شاهد حيّ على تلكم الآثار، ولا غرابة في ذلك فإنها فاطمة وما أدراك مَن فاطمة؟.

والسلام عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وعلى أبنائها الطاهرين، ولعنة الله على من ظلمها وغصب حقها إلى قيام يوم الدين.

١- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين:٣/ ١٥٦.
٢- محمد الحسيني الشيرازي، من فقه الزهراء:١/ ٦
٣- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة:١٦/ ٢١١.
٤- الريشهري، ميزان الحكمة : ٢/ ٨٨٢.
٥- المجلسي، بحار الأنوار :٦٥/ ١٥٥.
٦- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ١/ ٢٠.
٧- ابن بابويه القمي، الإمامة والتبصرة: ١
٨- المجلسي، بحار الأنوار : ٤٣/ ٦٥.
٩- د. محمد عبد المنعم، د. علي صبح، الأزهر في ألف عام: ١/ ٢٠
١٠- ويكيبيديا.
١١- د. محمد عبد المنعم، د. علي صبح، الأزهر في ألف عام:١/ ٢٩.
١٢- د.عبد الفتاح مصطفى الأزهر الشريف، حارس الثقافة الإسلامية عبر القرون :٢٣٠.



مواقف بعض الصحابة من فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحث: سامر الصائغ
العتبة العلوية المقدسة

الكلام في السيدة فاطمة عليها السلام ليس فقط انها بنت النبي صلى الله عليه وآله، الذي أمر الله سبحانه بمودة أهل بيته في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾[الشورى:٢٣] وانها بضعة النبي صلى الله عليه وآله، بحسب قوله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها)[١]، بل هي عليها السلام محور من محاور رضا الله وغضبه وباب من ابوابه، بحسب قول ابيها صلى الله عليه وآله: (يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[٢] فكان وجودها امتحانا لهذه الامة ومصداقا لبيان ايمان الفرد في قوله تعالى:﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[الحشر:٧]، من هنا فإن الأحداث التي وقعت عليها من قبل الصحابة وفي حضورهم بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله كشفت عن تلك الضغائن، التي كتمتها بعض النفوس، وذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[ال عمران:١٤٤].

كشف دارها والهجوم عليه:

دار الزهراء عليها السلام هذه الدار التي كان يأنس رسول الله بالدخول إليها، وكلما اصابه ضعف او ضيق قصدها، على وفق ما ورد عن حديث الكساء، فضلًا عن أنها مهبط الوحي ومختلف الملائكة، حيث التسابق إلى خدمتها[٣] وعظمة شأنها، كما أخبر بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:"ألا إنّ باب فاطمة بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه هتك حجاب اللّه"[٤]، فما الذي جرى عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

يذكر الدينوري في أمر من تخلّف عن بيعة أبي بكر، والذين هم مع الإمام علي عليه السلام، إذ قال: "فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا عليًا فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقًا، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة"[٥]، وذكر البلاذري قوله: "أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر، ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرّقًا عليّ بابي ؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك"[٦]، أيضا ذكر هذه الرواية ابن عطية[٧]، روى ابن أبي الحديد

المعتزلي عن المسعودي[٨] ما يؤكد ذلك وكأنه أصبحت سنة تُحتذى قال: "قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار"[٩]، قال سليم بن قيس الهلالي في ذكر امتناع الإمام علي عن بيعة أبي بكر قوله: "فوثب عمر غضبان، فنادى خالد بن الوليد وقنفذا فأمرهما أن يحملا حطبًا ونارًا، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: (يا بن أبي طالب، افتح الباب)، فقالت فاطمة عليها السلام: (يا عمر، ما لنا ولك ؟ لا تدعنا وما نحن فيه)، قال: (افتحي الباب وإلّا أحرقناه عليكم) فقالت: (يا عمر، أما تتقي الله عز وجل، تدخل على بيتي وتهجم على داري) ؟ فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر، فضرب الصديقة الطاهرة عليها السلام فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: (يا أبتاه يا رسول الله) فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت: (يا أبتاه) فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر ثم هزه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: (والذي كرّم محمدا بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي)، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وسل خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام فحمل عليه بسيفه، فأقسم على علي عليه السلام فكف"[١٠]، ذكر القاضي عبد الجبار الهمذاني قال: "إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: (أحرقوا دارها بمن فيها)، وما كان في الدار غير علي، وفاطمة، والحسن، والحسين"[١١]، ونقل هذا النص بعينه الشهرستاني[١٢]، ذكر الجوهري قول أبي بكر حين وفاته قوله: "أما إني لا آسي إلّا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن،...، فوددت أني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته"[١٣]، وذكر الطبراني هذا النص بعينه[١٤].

غصب إرثها:

يعد الإرث من الحقوق التي شرعتها النظم السماوية والارضية، فهو حق انتماء الولد لوالديه، لذا يُعدّ سلب حق الارث من الجرائم التي ترفضها القوانين، وقد ورد عن المصادر التاريخية أن الله تبارك وتعالى عوض

صبر خديجة وما بذلته في سبيل الدعوة الإسلامية، وقد كانت اغنى قريش[١٥]، بأن يعوض ابنتها عليها السلام فقد روى قطب الدين الراوندي عن رسول الله قال: "قد انتهيت إلى فدك، وإني قد أفاءها الله علي، فغمز المنافقون بعضهم بعضا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه مفاتيح فدك، ثم أخرجها من غلاف سيفه، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وركب معه الناس فلما دخل على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنية، إن الله قد أفاء على أبيك بفدك واختصه بها، فهي لي خاصة من دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلها لكِ، تكون لك ولولدك بعدك، قال: فدعا بأديم عكاظي، ودعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد على ذلك علي بن أبي طالب، ومولى لرسول الله، وأم أيمن"[١٦]، وعن أبي سعيد الخدري، أن الله عز وجل لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله: "وآت ذا القربى حقه"[سورة الاسراء:آية ٢٦] دعا فاطمة فأعطاها فدكا[١٧]، روى هذا الحديث القاضي النعمان المغربي[١٨]، وكذا الحاكم الحسكاني بسنده[١٩]، والآلوسي[٢٠]، وروى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: "إنّ فاطمة عليها السلام والعباس اتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبو بكر: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لا نورث ما تركنا صدقة"[٢١]، وأعاد الحديث

اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلا أو نهارا..

في باب المغازي مُضيفاً أنّ فاطمة عليها السلام هجرته، ولم تكلمه بعدها[٢٢]، ونقل هذه الحديث مسلم النيسابوري[٢٣]، وفي ذلك ذكر رد أبي بكر لفاطمة عليها السلام أحمد بن حنبل[٢٤]، روى عبد الرزاق الصنعاني رد عمر بن الخطاب للإمام علي والعباس، وأغلظ لهما القول، بعد ان طالبوا بفدك كونها من إرث فاطمة[٢٥]، أما ابن حزم فقد ذكر ان أبا بكر رد شهادة الإمام علي وأم أيمن في فدك[٢٦]، وذكر السجستاني الحديث المروي عن عائشة في رد أبي بكر لميراثها صلوات الله عليها[٢٧].

ولو أردنا أن نستقصي المصادر لكانت بالعشرات، ما يدل على أن هذه الحادثة هي من المسلّمات، وأحاديثها متواترات أو مشهورات عند طوائف المسلمين جميعًا، وإنْ برّروا للأول موقفه بحجج واهية ليس لها محل لبيانها في هذا المورد[٢٨]، قال المولى أمير

المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة: "بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، فنعم الحكم الله"[٢٩].

التضييق عليها من البكاء على أبيها سلام الله عليها:

البكاء امر فطري في الانسان وله أثار نفسية تخفف من آلام النفس، علو وفق ما متعارف طبياً، وقد أباحه الشرع عند الحزن وفقدان الأحبة، من موت وغيره، فعن النبي صلى الله عليه وآله حين مات ولده إبراهيم قال صلى الله عليه وآله: "لولا أنه أجل معدود ووقت معلوم لجزعنا عليك أشد مما جزعنا، العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إن شاء الله إلّا ما يرضي الرب، وانّا عليك يا إبراهيم لمحزونون"[٣٠]، بل قد تكون هناك مصلحة هي أعظم من الحزن وغاية اسمى، كما في حث النبي في البكاء على حمزة، فقد نقل الصنعاني لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من أُحد سمع لأهل المدينة نحيبًا وبكاءً فقال: ما هذا ؟ قيل: الأنصار تبكي على قتلاهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لكن حمزة لا بواكي له، فبلغ ذلك الأنصار، فجمعوا نساءهم وأدخلوهم دار حمزة يبكين عليه، فسمعهن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما هذا ؟ فقيل: إن الأنصار حين سمعوك تقول: لكن حمزة لا بواكي له، جمعوا نساءهم يبكين عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله للأنصار خيرًا[٣١].

وهذا البعد هو الذي استشعره أهل المدينة من بكاء الزهراء عليها السلام على أبيها، وأنّ الأمر أكبر من عاطفة، ما حدا مَنْ خالف المنهج النبوي أنْ يسعى لتقويض هذه الفكرة، فقد نقل الشيخ العلّامة المجلسي قال: "واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلًا أو نهارًا، فقال عليه السلام: حبا وكرامة، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلًا وإما نهارًا، فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلا ولا نهارا أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك، ثم إنه بنى لها بيتا في البقيع نازحًا عن المدينة يسمى بيت الأحزان[٣٢]، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية"[٣٣]، واشتهر ذكر هذه البيت لاحقا عند المسلمين فقد ذكر السمهودي قائلاً: "وقد ذكر الغزالي هذا المسجد في زيارة البقيع فقال: ويستحب له أن يخرج كلّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر القبور التي تزار، وقال عند ذكر قبر الحسن:

ويصلي في مسجد فاطمة، وذكره أيضًا غيره، وقال: إنه المعروف ببيت الحزن؛ لأن فاطمة رضي الله تعالى عنها أقامت به أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وآله، ولم يذكر دفنها به"[٣٤].

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤/ ٥
٢. الحاكم النيسابوري المستدرك: ٣/ ١٥٤
٣. محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، دلائل الامامة: ١٣٩
٤. السيد ابن طاووس، طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء: ٣١٧
٥. تحقيق الشيري، الامامة والسياسة: ١/ ٣٠
٦. أنساب الأشراف: ١/ ٦١٩
٧. أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ٢/ ٣٩٥
٨. ابو الحسن المسعودي: هو مؤرخ وجغرافي عراقي عباسي الف المسعودي كتب كثيرة عن العلوم والجغرافية والتاريخ توفي سنة ٣٤٦ه.
٩. شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ١٤٧
١٠. كتاب السقيفة: ٣٨٦
١١. القاضي عبد الجبار الهمذاني، المنية والأمل: ١٧٥
١٢. الملل والنحل: ١/ ٥٧.
١٣. السقيفة وفدك: ٤٣.
١٤. المعجم الكبير: ١/ ٦٢.
١٥. روى الموفق الخوارزمي في(المناقب، ص ٣٥٠) قال: "قالت أم سلمة: فلما ذكرنا "خديجة" بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: "خديجة" وأين مثل "خديجة"، صدقتني حين كذبني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها".
١٦. الخرائج والجرائح: ١/ ١١٧.
١٧. هي قرية في الحجاز فيها مزارع وبساتين من نخيل، وأصبحت للمسلمين بعد غزوة خيبر، تعدّ فدك ممّا أفاء الله على رسوله، وذلك أنّ النبي لمّا نزل خيبر فتح حصونها، فأرسل أهل فدك إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك. فأرض فدك مما لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب، بل هي خالصة لرسول الله يفعل بها ما يشاء، وكانت تنفق موارد فدك على فقراء بني هاشم وغيرهم من الفقراء كابن السبيل.
١٨. شرح الأخبار: ٣/ ٢٧.
١٩. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٤٣٩.
٢٠. تفسير الآلوسي: ١٥/ ٦١.
٢١. صحيح البخاري: ٥/ ٢٥.
٢٢. المصدر السابق: ٥/ ٨٢.
٢٣. صحيح مسلم: ٥/ ١٥٢.
٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٦.
٢٥. المصنف: ٥/ ٤٦٩.
٢٦. المحلى: ٩/ ٤١٥.
٢٧. سنن أبي داود: ٢/ ٢٣.
٢٨. نقل الشيخ القمي في تفسيره (ج٢،ص ١٥٦) والشيخ الطبرسي في(الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٢)، (فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين. قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شئ يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إياك أسأل البينة، قال: فما بال فاطمة سئلتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسئل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟ فسكت أبو بكر فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك... الى أخر الحديث).
٢٩. الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٤١٦
٣٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/ ١٣٩.
٣١. المصنف: ٣/ ٥٦١.
٣٢. ان بناء الامام لهذا البيت قد اسس الى احقية ان يكون البكاء والندب شعيرة تظهر المظلومية وان يكون هناك شاخص محسوس فانه اكثر اثباتاً في النفوس واستقرار في ذهن المجتمع.
٣٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٧٩.
٣٤. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: ٣/ ٩٤.

وفاة أم البنين عليها السلام

في الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ٦٤ للهجرة توفيت أم البنين بنت حزام الكلابية، زوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأم أولاده الأربعة العباس وعثمان وجعفر وعبد الله عليهم السلام، الذين قتلوا جميعًا مع أخيهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام بطف كربلاء[١].

اسمها فاطمة وكنيتها أم البنين وبها عرفت .

أمها ليلى وقيل تمامة بنت السهيل بن مالك، زهو ابن ابي برة عامر ملاعب الاسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب[٢].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد قال لأخيه عقيل (وكان عالمًا بأنساب العرب): انظر لي امرأة قد ولدتها الفحول من العرب فتلد لي غلامًا فارسًا، فقال تزوج أم البنين الكلابية، فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس وجعفر وعبد الله وعثمان[٣].

ولما وصل الخبر إلى المدينة بمقتل الحسين عليه السلام وإخوته وآل بيته عليهم السلام أقامت أم البنين العزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين وأهل بيته...

يقول المامقاني في تنقيح المقال: ويستفاد من قوة إيمانها أنَّ بُشرًا كلما نعى إليها أحدا من أولادها الأربعة قالت: (أخبرني عن الحسين)!، فلما نعى إليها الحسين، قالت: قد قطّعت نياط قلبي، أولادي كلهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام .

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: وكانت أم البنين أم هؤلاء الأربعة الأخوة القتلى، تخرج إلى البقيع فتندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس اليها يستمعون منها، فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي[٤].

كان من قولها عليها السلام :

لا تَدْعُونِّي وَيكِ أُمَّ البَنِين
تُذَكِّرِيني بِلُيُوثِ العَرِينِ
كانَتْ بَنُونَ لِي أُدْعى بِهِمْ
وَاليَوْمَ أَصْبَحْتُ وَلا مِنْ بَنِينِ
أَرْبَعَةٌ مِثْلُ نُسُورِ الرُّبى
قَدْ واصَلُوا المَوْتَ بِقَطْعِ الوَتِينِ
تَنازَعَ الخِرْصانُ أَشْلاَهُمُ
فَكُلُّهُمْ أمْسى صَرِيعاً طَعِين
يا لَيْتَ شِعْرِي أَكَما أَخْبَرُوا
بِأَنَّ عَبّاساً قَطِيعُ اليَمِينِ[٥]

وبقيت على ذلك حتى توفيت سلام الله عليها.

---

(١) الشيخ علي الخلخالي، أم البنين سيدة نساء العرب: ٨٤.
(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب: ٣٥٦.
(٣) الشيخ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ١/ ٤٣٠.
(٤) ابو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٦.
(٥) أبي مخنف، مقتل الحسين: ١٨١.



تراث الخزانة العلوية

- إعـــادة نبض المـــاضي: قصة تجليد مخطوط "مسائل حنين بن إسحاق" في الخزانة العلوية

شعبة الخزانة والمتحف العلوي

- ترميم فريد لمصحف نفيس مـــن مخطوطات الخزانة العلويـــة يعود إلى المدرسة الإفريقية.

الباحث والمرمم محمد منصور الجزائري
العتبة العلوية المقدسة

إعـادة نبـض الماضي: قصـة تجليد مخطوط "مسـائل حنين بن إسـحاق" في الخزانـة العلوية

شعبة الخزانة والمتحف العلوي









تُعدّ الخزانة العلوية التي في المرقد المطهر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منارةً للعلم لأهمية ما متوفر فيها من النفائس المخطوطة، وذياع صيتها، ليس فقط في العراق بل في العالم الإسلامي أجمع. تأسست هذه الخزانة العريقة لتكون حصنًا للمعرفة، وقد احتضنت عبر تاريخها الممتد كنوزًا لا تُقدّر بثمن. من بين أندر مقتنياتها تسع مخطوطات كُتبت على الرق، وهو ما سبق استخدام الورق في العالم الإسلامي، وتعود إلى القرنين الأول والثاني للهجرة، مما يمنحها قيمة تاريخية لا مثيل لها.

ولم تقتصر كنوز الخزانة على ذلك، بل تشمل مجموعة فريدة من المصاحف الشريفة التي خطها أشهر الخطاطين في العالم الإسلامي، أمثال ياقوت المستعصمي، والسهروردي، والنيريزي. كان السلاطين والأمراء يتنافسون في إهداء أثمن مقتنياتهم إلى هذه الخزانة، لتكون بذلك مرآةً لعراقة الحضارة الإسلامية وعمقها الفني والعلمي. هذه الخزانة لم تكن مجرد مستودع للكتب، بل كانت مركزًا للإشعاع الثقافي والمعرفي، ومقصدًا للعلماء والباحثين من شتى بقاع الأرض.

وفي هذا البحر من المعرفة، يبرز مخطوط "مسائل حنين بن إسحاق وأجوبتها"، بوصفه أحد أهم الشواهد على أصالة الخزانة العلوية. يعود تاريخ نسخ هذا المخطوط إلى عام ٦٤٩ هجري، وقد خطه الناسخ حسن ابن المعلم، حيث كتب تاريخ النسخ باللغة العبرية في آخر ورقة من المتن، في دلالة نادرة وفريدة من نوعها. ما يزيد من قيمة هذه النسخة هو وجود تعليقات وهامشيات يُرجّح أنها تعود إلى العالم عبد الرحمن العتائقي من القرن الثامن الهجري، وذلك بعد مقارنتها بمخطوطات أخرى له ضمن مقتنيات الخزانة، مما يشير إلى أن المخطوط كان ضمن الخزانة في تلك المدة من الزمن. إن الفارق الزمني بين تاريخ النسخ (٦٤٩ هـ) ووفاة العتائقي (٧٩١ هـ) يؤكد أن هذا المخطوط كان متداولًا بين أيدي العلماء لأكثر من قرن ونصف، مما يجعله شاهدًا على استمرارية حركة العلم في تلك الحقبة.

رحلة المخطوط عبر الزمن وتحديات التجليد

شهد المخطوط رحلة طويلة عبر الزمن، إذ خضع لعمليتي تجليد سابقتين. الأولى كانت تجليده الأصلي، أما الثانية فكانت تجليدًا ثانويًا يعود إلى القرن الثاني عشر الهجري أو إلى أواخر الحقبة الصفوية. هذه العملية الثانية كانت غير متقنة، فقد تم فيها خياطة الملازم بشكل سيئ باستخدام غرزتين فقط، وبخيط سميك ورديء، مما أضرّ بمتن المخطوط وأخلّ بالطريقة الأصلية التي كانت تعتمد على تدعيم الكعب بدعامتين. هذا التجليد غير الاحترافي كان سببًا رئيسًا في تدهور حالة المخطوط وتلفه، إذ أدى إلى تفكك أوراقه وتشوه غلافه.

والأمر لم يتوقف عند الخياطة السيئة، فغلاف التجليد الثاني كان يفتقر إلى التناسق والجمال، حيث كان يتكون من قطعتين من الجلد مختلفتين تمامًا في الزخرفة واللون والنوع. هذا التباين الشديد كشف عن أن عملية التجليد كانت عشوائية ولم تراعِ أصالة العمل الفني. إن الغلاف، الذي كان من المفترض أن يكون حاميًا ورمزًا لجمال المخطوط، تحول إلى عيب يؤثر في قيمته الجمالية والتاريخية.

خطوات إحياء المخطوط: الترميم بوصفه

فنا وعلما.

بعد أن تم الكشف عن هذه العيوب التاريخية، بدأ العمل على إعادة تجليد المخطوط للمرة الثالثة، ولكن هذه المرة بأسس علمية دقيقة، تهدف إلى إعادة إحياء المجد الغائب. إن عملية الترميم في العصر الحديث لم تعد مجرد إصلاح مادي، بل هي فن يجمع بين المعرفة التاريخية والخبرة التقنية.

إعداد المتن وخياطته:

كانت الخطوة الأولى هي إعادة ترتيب ملازم المخطوط وتهيئتها للخياطة. تم اختيار الطريقة الأصلية في التجليد، والتي كانت تعتمد على تدعيم الكعب بدعامتين. جرى استخدام خيوط خاصة تتناسب مع نوع الورق القديم، لضمان متانة الخياطة من دون إحداث أي ضرر. بعد إتمام الخياطة، تم تحضير صمغ النشا عالي الجودة والمعد خصيصًا لترميم المخطوطات. ثم أُضيفت قطعة من قماش الكتان المتين لتدعيم الكعب بشكل يضمن قوة المخطوط واستمراريته لمئات السنين القادمة.

صيانة الغلاف وكشف المفاجأة:

تُعدّ هذه المرحلة الأكثر حساسية؛ إذ تضمنت صيانة دفتي المخطوط. ثم فصل الجلد عن اللوح الداعم، وفي أثناء العمل على الدفة الأمامية، كانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد؛ إذ تم العثور على غلاف المخطوط الأصلي مخبأً تحت ورقة البطانة الداخلية، وعلى هذه الورقة كانت عبارة "طب" أو ما يشابهها، مما أضاف بعدًا إنسانيًا لقصة المخطوط.

على الرغم من أن الغلاف الأصلي كان في حالة سيئة للغاية وجافًا ومتشققًا، تم إنقاذه بعناية فائقة ومعالجته بمواد خاصة؛ لتقويته وتحضيره لعملية الإلحاق النهائية. هذا الكشف لم يكن مجرد إضافة مادية، بل كان بمثابة حلقة وصل بين الماضي والحاضر، وإثبات على أصالة المخطوط.

بعد ذلك، بدأ العمل على الدفة الثانية، التي كانت مختلفة عن الأولى. تم فصل جلدها ومعالجته، ولتحقيق التناظر الفني بين الدفتين، تم لصق الجلدين على ألواح كرتونية جديدة، ثم أعيدت زخرفة الدفة الثانية بنفس تقنية زخرفة الدفة الأولى، ما أعاد للغلاف مظهره المتناسق والفريد.

إتمام الرحلة والنتيجة النهائية

في الخطوة الأخيرة، تم ربط الغلاف بالمتن، إذ أُلحقت الدفة الأولى أولًا، ثم الدفة الثانية. وبفضل هذه الجهود الدقيقة والاحترافية، اكتملت عملية ترميم مخطوط "مسائل حنين بن إسحاق وأجوبتها"، الذي يحمل تسلسلًا عامًا رقم ٦٥٠.

إن ترميم هذا المخطوط ليس مجرد عملية فنية، بل هو إحياء لذاكرة أمة وعلمائها. إن الجهود المبذولة في الخزانة العلوية للحفاظ على هذا التراث تؤكد أن الحفاظ على المعرفة هو حماية للهوية. هذا المخطوط، الذي كان معرضًا للتلف والضياع، عاد ليحتل مكانته التي يستحقها، شاهدًا على عراقة الماضي وإصرار الحاضر على حماية كنوزه. فهل يمكننا تقدير القيمة الحقيقية لهذه الكنوز التاريخية من دون بذل الجهد اللازم للحفاظ عليها للأجيال القادمة؟

ترميم فريد لمصحف نفيس من مخطوطات الخزانة العلوية يعود إلى المدرسة الإفريقية.

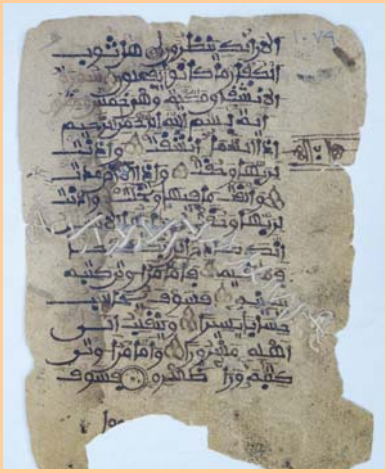
الباحث والمرمم محمد منصور الجزائري
العتبة العلوية المقدسة

تمتاز مخطوطات الخزانة العلوية باحتوائها على عدد كبير من المصاحف النفيسة والنادرة، ومن بينها مصحفٌ يعد تحفة فنية متميزة بمدرسة الخط الإفريقي. ويعرف هذا المصحف الكريم نفسه في الخزانة العلوية بالتسلسل العام رقم (٣٢٤٧)، والتسلسل المخزني رقم (١٤١٧)، كُتب هذا المصحف على ورق بالحبر الأسود، في حين استُخدِم اللونان الأحمر والأصفر لتمييز فواصل الآيات وعلامات التخميس والتعشير، واستخدم اللون الأحمر للحركات الإعرابية، وزُيّنت بعض أوراق المصحف بزخارف هندسية على شكل دوائر منفذة باللونين الأحمر والأصفر. يبلغ قياس المصحف ١١×١٦ سم، ويضم ٥٥٠ ورقة، ويتراوح عدد الأسطر في الصفحة الواحدة بين ١٢ إلى ١٦ سطرًا.



تظهر الصورة مصحف الخزانة محاطًا بجلدة ومربوطًا بحزام من الجلد

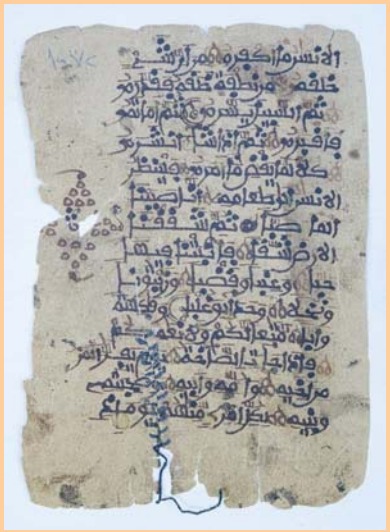
يعتمد الخط المستخدم في غالبية مصاحف غرب أفريقيا على الطراز الإفريقي، الذي يشبه في نمطه الخط المغربي القيرواني الأصل. ويتميز هذا الخط بكثافة المد الأفقي في حروفه وضخامة حجمها، مع ميل طفيف نحو اليسار، وظهور



تظهر الصورة طريقة الترميم باستخدام الخيط الأبيض

خط المصحف وجذوره.

امتازت مصاحف دول غرب إفريقيا بظواهر كتابية خاصة، تجعلها قريبة الشبه من المصاحف السودانية، من حيث طبيعة الخط والخصائص الكتابية، بما في ذلك عدّ الآيات والتجزئة والتحزيب والقراءات والقرآنية، فضلا عن الزخرفة والتزويق والجوانب الفنية الأخرى، التي تمثّل روابط ثقافية وفنية عميقة بين المنطقتين.



تظهر الصورة طريقة الترميم باستخدام الخيط الأبيض

رؤوس مدببة لبعض الحروف وكثافة الدوائر في نهاية الكلمات، وأن أبرز سمة يتميز بها هي عند كتابة الحرفين (الفاء، القاف) هو وضع نقطة واحدة أسفل حرف (الفاء) ونقطة فوق حرق (القاف).

غلاف المصحف: تجليد غير مألوف.

ما يميز هذا المصحف أيضًا هو أسلوب تجليده الفريد؛ إذ جُمعت أوراقه في شكل كتاتيب منفصلة من دون خياطة متصلة، ثم أُحيطت بغلاف جلدي موحد مزين بزخارف هندسية، مع حزام جلدي يضمن تماسكه. هذا الأسلوب يختلف عن المصاحف المغربية التقليدية، ويُعد من أبرز سمات مصاحف غرب إفريقيا، التي تمثّل تقاليد حرفية محلية متجذرة[1].



تظهر الصورة الزخارف الهندسية

ترميم غير تقليدي يثير التساؤلات.

على الرغم من قيمته الفنية، يعاني المصحف من أضرار، وفيه آثار ترميم قديم وشقوق في بعض أوراقه، إلا أن عملية الترميم الحالية جاءت بأسلوب غير مألوف: خياطة الأوراق المتآكلة باستخدام خيوط معالجة بمادة لاصقة ومشمع، وبألوان متباينة (أبيض وأسود). هذه التقنية تقدم تساؤلات حول أصولها، فهل هي اجتهاد شخصي من المرمم؟ أم أنّها جزء من تقليد ترميمي خاص بالمدرسة الأفريقية؟ ربما تمثّل هذه المنهجية توافر مواد محلية معينة، أو فلسفة جمالية مميزة في التعامل مع التراث الورقي.

---

١ – الديب محمد مجدي، رحلة المصحف الشريف من المخطوط إلى المطبوع، ص ٢٣٠.

ثلاث نصائح في مجال التأليف

في سنة ١٩٧٧م قَدِم الكاتب الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ محمد جواد مغنية إلى مدينة النجف الأشرف، وسكن في المدرسة الشبّريّة، فانتهزتُ الفرصة للّقاء به والاستفادة من تجربته في التأليف، حيث كنت من قرّائه المعجبين به، وأنا يومئذٍ في السابعة عشرة من عمري.

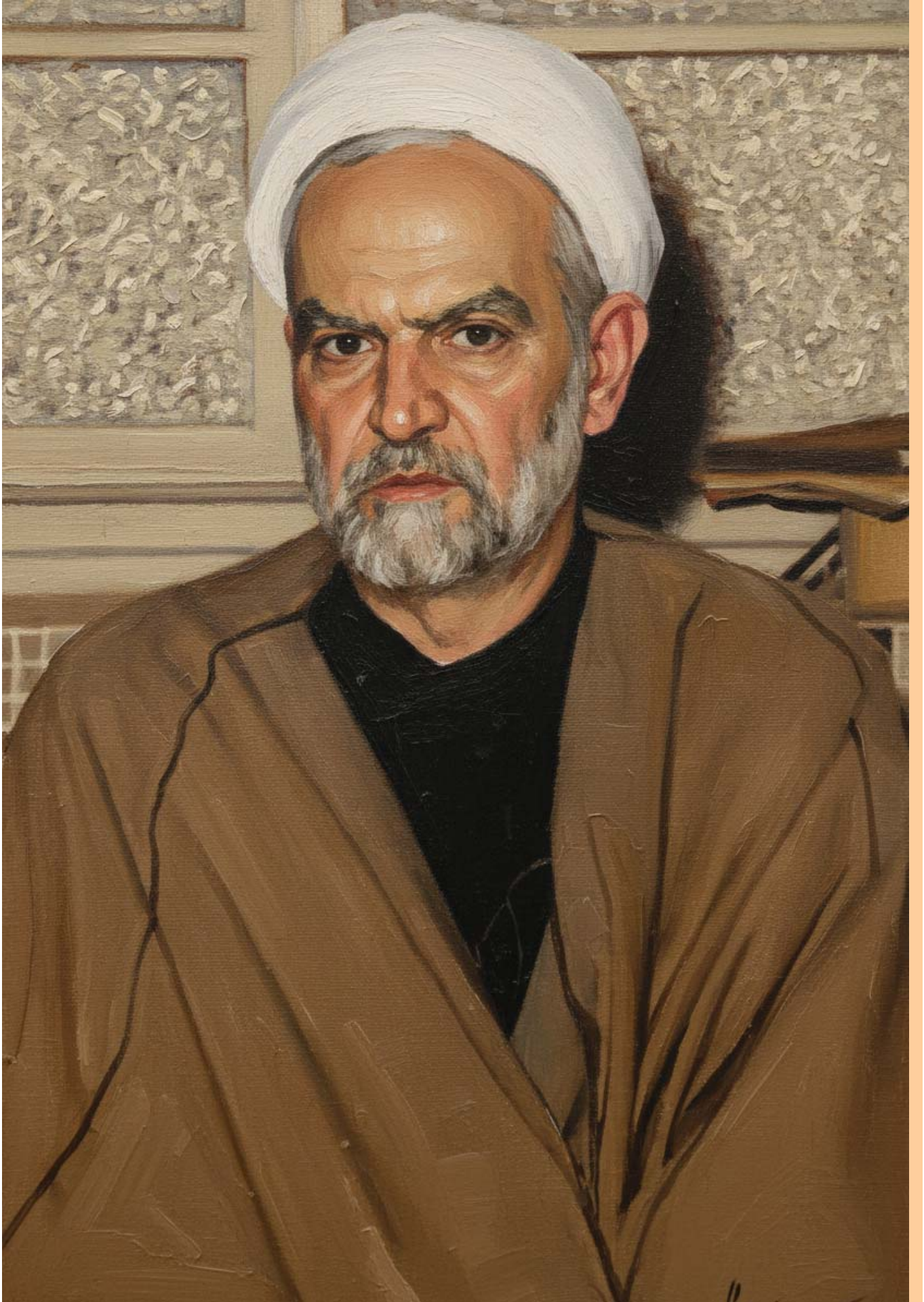
دخلت عليه الحجرة فوجدته محاطًا بالكتب وبعض الجرائد والمجلات التي يكتب فيها، وكان يغمس الخسَّ بالسكنجبيل ويأكل، وقال: هذا أكلي المفضل دائمًا وبعد حديث اعتيادي سألته: هل يمكنكم إعطاؤنا نصيحة في مجال التأليف والتبليغ الكتابي؟

قال: أهم شيء أنْ تعيّن أمام شخصك الجهة التي توجّه إليها الخطاب، فمن أي طبقة هذا الذي تريد الكتابة له، عند ذلك اكتب ماتريده ولا تفكّر فيمن لا يوافقك الرأي من الطبقات الأخرى؛ لأنّك لم تكتب لهم.

فمثلًا: إذا أردت مخاطبة الشباب، حدِثهم بما يفهمون، ولا تهتم بالذين قد لا يرتاحون لكتاباتك؛ لأنّهم أساسًا ليسوا جهة خطابك، وفي الدرجة الثانية وسّع دائرة معلوماتك الثقافية، ثم لا تخش أحدًا إلّا الله.

فهذه ثلاث نصائح في مجال التأليف.

(قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين: ٧١)



مسابقة العدد 197

مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود أو عبر الرابط:

https://forms.gle/JCT6qnpAPB6ZRRg47

علماً أن أجوبة الأسئلة تجدونها في مقالات هذا العدد
آخر موعد للمشاركة يوم 28 رجب الأصب
هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام

